

جامعة الدول العربية
الأمانة العامة

مسرحة شكسبير

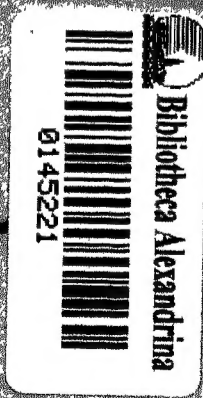


تشارد الثالث

ترجمة
الدكتور عبد القادر القط



دار المعارف



مُتْرَحِيَّاتِ شَكْسِيَّاتِ


جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

رتشارد الثالث

ترجمة
الدكتور عبد القادر القط

مراجعة
الأستاذ حسن محمود الأستاذ إبراهيم زكى خورشيد

الطبعة الثانية

المعهد القومي للكتاب - مكتبة الإسكندرية	
ط. المعارف رقم القيد: 6-35-3228	
رقم التسجيل: 154	

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كوريش النيل - القاهرة ح.م.ع.

مقدمة

يمكن أن تعد مسرحية رتشارد الثالث من الناحية التاريخية تنمة للأجزاء الثلاثة من مسرحية هنرى السادس ، فهي تبدأ من حيث ينتهى الجزء الثالث لتلك المسرحية ، وتصور ختام الصراع الطويل بين أسرى لانكستر ويورك الذى بدأ فى عهد هنرى السادس وانتهى بمقتل رتشارد الثالث واستيلاء هنرى السابع من أسرة لانكستر على الحكم . وقد تزوج هذا الملك إليزابيث سايلة أسرة يورك . فوضع حدا للصراع بين الأسرتين وجمعهما فى سلالة واحدة .

وقد قام رتشارد فى مسرحية هنرى السادس بدور كبير ينبنى بما كان فى نفسه من طموح وما جبل عليه من شر . وفى مسرحيتنا هذه نرى كيف رسم خططه الجريئة لكى يحقق طموحه ويصعد إلى العرش . ونرى كيف نفذ تلك الخطة فى إصرار ووحشية حتى انتهى إلى ما يريد .

ومن المرجح أن المسرحية قد كتبت بعد ثلاثية هنرى السادس مباشرة وإن لم يعرف تاريخ كتابتها على وجه التحقيق . على أن مؤرخى أدب شيكسبير يكادون يتفقون على أنها قد ألفت بين عام ١٥٩٣ و ١٥٩٥ . وهناك شك فى نسبة المسرحية إلى شيكسبير . ويرى بعض الباحثين أن دور شيكسبير فيها قد اقتصر على المراجعة والتنسيق وأنها من وضع المؤلفين الذين كتبوا ثلاثية هنرى السادس ، بينما يرى آخرون أنها من تأليف مارلو

وقد تركها ناقصة فأتتها شيكسبير . ومع ذلك فإن هذه الشكوك لا ترقى إلى درجة الدليل الحاسم الذى يثبت أن شيكسبير لم يكتب هذه المسرحية بنفسه . ويرى الباحثون أنه إذا صح أن شيكسبير قد قام بدور المراجع لها فحسب فإن مراجعته كانت أكبر من مجرد المراجعة العادية ، فى أسلوبها وبنائها المسرحى ما يوحى بفن شيكسبير فى مرحلته المبكرة .

والمسرحية تعرض مأساة رتشارد بطريقة تحافظ على التقاليد المسرحية القديمة ، ففيها ذلك المصير القاسى الذى تساق إليها معظم الشخصيات ، وفيها من سلطان الظروف والأقدار ما يتحكم فى سلوك تلك الشخصيات . وإذا كنا نتعاطف مع شخصيات شيكسبير فيما يصيبها من مأس فى مسرحياته الأخرى ، فإننا لا نحس بأى عطف نحو رتشارد الثالث فى هذه المسرحية . ذلك بأن المؤلف قد صوره نموذجا كاملا للشر نتبع مصيره وكأنه نتيجة حتمية لسلوكه وطبيعته شخصيته . فهو شخصية غير إنسانية تنساق فى طريق الشر بأسلوب آلى ليس فيه ما فى الساك الإنسانى من تطور وتعتقد . وهناك مثلا فرق واضح بينه وبين ياجو فى مسرحية عطيل . فرغم ما فى شخصية ياجو وسلوكه من شذوذ ، فإننا لا نملك إلا أن نتقبله وننتفع به لما نلمس فى نفسه من البواعث المعقدة — والعواطف الإنسانية المتضاربة . فى نفسه من الضعف والعقدة والشر والخير والتردد والإقدام ما فى النفس الإنسانية ، وهو لا يمضى فى خطته إلا بعد صراع طويل بين كل تلك العناصر النفسية المعقدة .

ومن هنا نستطيع رغم شره أن نأسى له ونتماطف معه في مصيره المحتوم ، أما رتشارد فلإننا نراه وقد رسم في مناجاته لنفسه في مطلع المسرحية طريقا لم يحد عنه طوال المسرحية رغم ما اقترفه من آثام بشعة ، كانت جديرة بأن تثير في نفس أى إنسان كثيرا من المشاعر المتضاربة وتدفعه إلى كثير من التردد والتفكير ، قبل الإقدام على اقترافها . وهو من هذه الناحية يوشك أن يكون مجرد نموذج فى الشر وتجسيدا لفكرة الإثم .

لهذا طغت شخصيته على سائر شخصيات المسرحية بما لديها من عواطف إنسانية لأن تلك الشخصيات لم تكن تستمد وجودها إلا بمقدار صلتها به .

ومع ذلك فى المسرحية كثير من المواقف المؤثرة يرتقى فيها الأسلوب إلى مستوى شعري عال ، يستمد براعته من براعة رتشارد في الحديث وقدرته على التأثير ، تلك القدرة التي اتخذ منها سلاحه الأول لتنفيذ طموحه وشره . ولكن هذه البراعة في الحديث لم تستطع رغم ذلك أن تضفى على رتشارد شيئا من الطابع الإنساني لأنها لم تكن إلا مجرد وسيلة إلى مآربه الآثمة . . .

عبد القادر القط

أشخاص المسرحية

Edward IV الملك إدورد الرابع

إدورد أمير ويلز (الملك إدورد الخامس فيما بعد)
ابنا الملك { Edward Prince of Wales
ريتشارد دوق يورك Richard Duke of York

جورج دوق كلارنس George Duke of Clarence
ريتشارد دوق جلوستر (الملك ريتشارد الثالث فيما بعد)
أخوا الملك { Richard Duke of Gloucester

ولد صغير لدوق كلارنس

هنري إيرل ريتشموند (الملك هنري السابع فيما بعد)

Henry Earl of Richmond

Cardinal Bourchier كاردينال بورشيميه (رئيس أساقفة كنتربري)

Thomas Rotherham توماس روتر هام (رئيس أساقفة يورك)

John Morton of Ely جون مورتون (أسقف إيلي)

Duke Buckingham دوق بكنجهام

Duke Norfolk دوق نورفوك

Earl Surry إيرل سري (ابن دوق نورفوك)

Earl Rivers إيرل ريفرز (أخو المالكة إليزابيث)

(ابنا الزابث)	{	Marquess of Dorset	المركيز دورست
	}	Lord Grey	اللورد جراى
Earl Oxford			إيرل أكسفورد
Lord Hastings			اللورد هيستنجز
Lord Stanley (Earl Derby			اللورد ستانلى (ويدعى أيضا إيرل دربى)
Lovel			اللورد لوفل
Thomas Vaughan			سير توماس فوجان
Richard Ratcliff			سير رتشارد راتكليف
William Catesby			سير وليام كاتسبى
James Tyrrel			سير جيمس تيرل
James Blount			سير جيمس بلونت
Walter Herbert			سير وولتر هيربرت
Robert Brakenbury			سير روبرت براكنبرى (رئيس شرطة البرج)
Christopler Urswick			كريستوفر إيرزوك (قس)
			قس آخر
Tressel and Berkeley			تريسيل وبيركلى (سيدان من أتباع ليدى آن)
(Wiltshire)			عملة لندن ، حاكم ويلتشير .
Elizabeth			إلزابث (الملكة ، زوج إدورد الرابع)
Margaret			مرجريت (أرملة هنرى السادس)

دوقة يورك (أم هنرى الرابع)
Duchess of York
ليدى آن (أرملة إدورد أمير ويلز وابن هنرى السادس وقد تزوجت من
بعد رتشارد الثالث)
Lady Anne
ابنة صغيرة لكلازنس (مرجريت بلانتاجنت)
Plantagenet
أشباح من قتلهم رتشارد الثالث .
لوردات وغيرهم من الأتباع - ضابط ومسجل - مواطنون - قتلة - رسل
وجنود وغيرهم .
المكان - إنجلتره

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع بلندن

(يدخل رتشارد دوق جلوستر)

دوق جلوستر : الآن^(١) قد أحالت شمسُ يورك^(٢)

شتاء أحزاننا إلى صيف رائع .

وثوى في صدر المحيط العميق

كل ما جثم على بيتنا من سحب .

الآن يكمل غار النصر جباهنا .

ونعلق أسلحتنا المثلومة على الجدران ، للزينة وللذكرى ،

لقد استحال هجمتنا الصارمة المباغلة إلى اجتماعات

مرحة

وزحفنا المروع ، إلى رقص ممتع ،

(١) أى توكسبرى بعد وقعة (Tewksbury)

(٢) ورد هذا اللفظ Sonne, Son والرأى عند أغلب الشراح أن شيكسبير فيما يرجع

يتلاعب باللفظ ولكنه كان يشير بلا شك إلى شعار بيت يورك وهو « الشمس في جلالها »

وهو الشعار الذى اتخذه رتشارد الثانى إحياء لذكر الشمويس الثلاث التى يقال إنها ظهرت

في وقعة « مورتيمور كروس » التى انتصر فيها على بيت لانكستر .

- ١٤
- ف ١
- وبَسَطَ إله الحرب العبوس جبينه المقطب ،
وبعد أن كان يمتطى صهوة الجياد المدرعة
ليلقى الرعب في نفوس الأعداء الهلوعين
غدا يشب خفيفا في غرفة محبوبته ،
على أنغام العود الممتعة المثيرة ،
أما أنا ، الذي لم أسوِّ في خِلقة تبيح لي أن أمارس
أفانين الحب ،
- ١٥
- ولم أخلق لأمتع النظر بصورتي على مرآة حبيبة .
أنا الذي خلق على عجل ، ولم يؤت من جمال المحبين ،
ما يخطر به أمام حسناء مختالة لعب ،
أنا الذي حُرِّم اتساق القسمات
وزيفت الطبيعة الخادعة بنيته ،
- ٢٠
- أنا المشوه المنقوص ، الذي أرسل قبل الأوان
إلى هذا العالم النابض بالحياة ولما يكدر يتم خلقه ،
أنا الذي تنبحه الكلاب إذا وقف عليها ،
لما تراه من بالغ عجزه ، وغرابة هيئته ،
أما أنا فلا أجد في هذا الوقت ، وقت السلم ،
الذي تخفت فيه الأصوات وترق ، شيئا من المتعة
أتسلى به ؛
- ٢٥

١٥

إلا أن أخالس النظر إلى ظلى في ضوء الشمس ؛
وأغنى بخلقى الشائبة .

فلأكن إذن شريرا !

ما دمتُ لا أصلح للحب ،

ولا للاستمتاع بهذه الأيام الجميلة الزاهرة ؛

ولأمنح تلك الأيام ومتعها اللذيذة بُغضى وحقدى ؛

لقد رسمت خططى وشرعت فى مقدماتها الخطيرة ،

لأقيم بالنبوءات الفارغة والتشهير ، والأحلام ،

بغضاء مهلكة بين الملك وبين أخى كلارنس .

ولئن صح أن الملك إدورد يبلغ من الصدق والعدل

ما أبلغه أنا من الدهاء والزيف والخديعة ،

فليسجن كلارنس اليوم ولتضيق عليه المحابس من

أجل تلك النبوءة

التي تزعم : أن ورثة إدورد سيقتلون بيد رجل اسمه

الأول بحرف الجيم .

ألا فلترسبى أيتها الأفكار إلى قرارة نفسى ،

فها هو ذا كلارنس قد أقبل .

(يدخل كلارنس محيط به حرس ومعه براكنبرى)

عم صباحاً يا أخى — ما شأن هؤلاء الحراس المسلحين

من حولك ؟

١٢

٢٠

٢٥

٤٠

١٦

١٦

كلارنس : لقد شاء جلالته الملك ، حرصا منه على سلامتي .

١٥

أن يعين هذا الحرس ليحملني إلى البرج .

دوق جلوستر : ولم ؟

لأن اسمي جورج !

كلارنس :

دوق جلوستر : وا أسفاه يا سيدي إذ تؤخذ بجريرة لا يدلك فيها .

لقد كان ينبغي له أن يعاقب على ذلك معمدك الذي

عمدك ،

أوتري قد عزم الملك

على أن يعمدك في البرج ويسميك من جديد ؟

٥٠

ولكن ما سر هذا الأمر يا كلارنس ؟ هلا أخبرني ؟

كلارنس : سأخبرك يا رتشارد حين أعرفه ،

فلنأى لأؤكد أن ليس لي به حتى الآن علم .

ولكن يخيل إلي أن الملك يستجيب للنبوءات والأحلام ،

وقد انتقى من بين حروف الهجاء حرف الجيم

٥٥

وقال إن ساحرة أنبأته أن « جيم »

سيغتصب العرش من أبنائه .

ولما كان اسمي هو جورج يبدأ بحرف الجيم

فقد ظن أنني هو ،

وتلك النبوءات ، وأمثالها من العبث ،

٦٠

١٧

هي التي دعت جلالته فيما بلغني - إلى أن يلقى بي
في السجن .

دوق ريجلستر : عجباً ، إن ذلك لا يكون إلا حين يخضع الرجال
لحكم النساء .

إن من يرسلك الآن إلى البرج ليس هو الملك ،
بل إن زوجه ليدى جراى ، يا كلارنس ،
هي التي تثيره عليك إلى هذا الحد .

٦٥

ألم تكن هي وأخوها ، ذلك الرجل الطيب النبيل
أنثوني ودفيل ، هما اللذين دفعاه إلى أن يرسل
باللورد هيسمنجز إلى البرج ،
فلم يخرج منه إلا اليوم ؟

أى كلارنس ، لسنا بمأمن ! لسنا بمأمن !

٧٠

كلارنس : تالله ما من أحد بمنجاة من الخطر ،

إلا أقارب الملكة ورسل الليل ،

الذين يذرعون الطريق بين الملك وخليلته « شور » .

ألم تسمع إلى أى أحد

تضرع إليها لورد هيسمنجز حتى يطلق سراحه ؟

٧٥

دوق جلستر : لقد شكوا مولاي اللورد كبير الأمانة إلى « جلالته »

في ذلة وخضوع فظفر بحريته ؛

١٨

ماذا أقول ، يخيّل لي أن خير سبيل نساكها
لكي نحظى بعطف الملك ،

أن نكون من رجالها ، وأن نرتدى لباس أتباعها ،
فإن الأرملة^(١) التي أبلتها السنون وفطرت على الشك
والوساوس

قد أصبح لها هي والخليلة ، السلطان النافذ في الدولة .
بعد أن رفعهما أخونا الملك إلى مرتبة النبيلات .

براكنرى : معذرة أيها السيدان ،

فإن الملك قد أصدر أمرا قاطعا

ألا يخلو إلى أخيه أحد مهما يكن شأنه .

جلاوتر : ولا يهمنا هذا ، فإنك أي براكنرى

تستطيع ، إذا أردت ، أن تشارك في كل ما نقول ،
فليس في حديثنا خيانة أيها الرجل . وإنما نحن
نقول إن الملك

حكيم فاضل ، وملكته النبيلة

على كبر سنها — جميلة لا تشعر بشيء من الغيرة .

ونقول إن امرأة « شور » ذات قدم بديعة ،

وشفة كالكرز ، وعين جميلة ، ولسان جدمتج ،

(١) يعنى الملكة وكانت أرملة قبل أن تتزوج .

١٩

وإن أقارب الملكة يُرفعون إلى مرتبة النبلاء .
فما قولك أنت يا سيدى ؟ أتستطيع أن تنكر شيئا
من هذا ؟

١٢

٩٥

براكنبرى : ليس لى شأن بهذا يا سيدى اللورد .
دوق جلوستر : ليس لك شأن بالسيدة شور ! ألا فلتعلم أيها الرجل
لأنه لخير لمن له شأن بها

أن يفعل هذا وحده فى الخفاء ؛ اللهم إلا شخصا واحدا .

١٠٠ براكنبرى : ومن يكون هذا الشخص يا سيدى اللورد ؟

دوق جلوستر : زوجها يا خبيث ! أو تفضح أمرى وتشى بى ؟

براكنبرى : معذرة يا سيدى إذا سألتك

أن تكف عن الحديث مع الدوق النبيل .

كلاركس : نحن نعرف ما أمرت به — أى براكنبرى — وسنطيع
ذلك الأمر .

١٠٥ دوق جلوستر : نحن أشد رعايا الملكة خضوعا واستكانة وقد ،
حققت علينا الطاعة .

إلى اللقاء يا أخى — إننى ذاهب إلى الملك ؛

وسأفعل كل ما تشاء ، حتى أرد إليك حريتك ،

حتى ولو اضطرت أن أنادى أرملة إدورد بيا أخى^(١)

(١) أخته بزواجها من أخيه الملك كما يقضى العرف الإنجليزى .

١ ف

٢٠

غير أن هذا العقوق^(٢) الشديد لحق الإخوة

يُجزّ في نفسى أشدّ مما تستطيع أن تتخيل .

١١٠

: إني لأعلم أن ذلك لا يرضيك ولا يرضيني .

كلارنس

: إن سجنك لن يطول على أية حال ،

دوق جلوستر

وسأخاطبك أو ألقى في السجن دونك ؛

أما الآن فيجب أن تتذرع بالصبر ؛

: لا حيلة لي في ذلك ، إلى اللقاء

١١٥ كلارنس

(يخرج كلارنس وبراكنبري والحرس)

: اذهب ، واسلك ذلك الطريق الذى لارجعة لك منه ،

دوق جلوستر

أى كلارنس . أيها الساذج الأمين . إن لك في

نفسى من الحب ،

ما يحملنى على أن أبعث بروحك قريباً إلى السماء ؛

لو رضيت السماء بأن تقبل ما بين أيدينا من قربان !

١٢٠

ولكن من المقبل علينا ؟ أهو هيستنجز الذى أطاق

سراحه اليوم ؟

(يدخل لود هيستنجز)

: طاب وقتك يا سيدى اللورد الكريم !

هيستنجز

: وطاب وقت سيدى الكريم كبير أمناء القصر

دوق جلوستر

٢١

مرحبا بك في هذا الجو الطاق

- ١٢٥ كيف كان احتمال سيدي اللورد للسجن ؟
 هيستنجز : احتملته بصبر ياسيدي النبيل كما ينبغي لكل سجين .
 ولكني سأعيش يا سيدي
 لأرد الجميل إلى من كانوا السبب في سجنى .
 دوق جلستر : يلا ريب ، يلا ريب ! وكذلك سيفعل كلارنس ؟
 ١٣٠ فإن أعداءك بالأمس هم اليوم أعداؤه ؛
 وقد ظفروا به كما ظفروا بك .
 هيستنجز : لشد ما آسف أن يحبس النسر
 وتترك الحداث وضعاف الصقور : لتقتنص كيف
 تشاء .

- دوق جلستر : أئمة أنباء من الخارج ؟
 هيستنجز : إن الأنباء من الخارج لا تبلغ في سوءها مبلغ الأنباء
 من الداخل .
 ١٣٥ فالملك مريض واهن القوى قد علته الكآبة
 والهموم ،
 وأطبأؤه يخشون على حياته خشية شديدة .
 دوق جلستر : بحق « بولس » القديس إنها لأنباء سيئة !
 لقد اتبع نظاما صارما في الطعام زمنا طويلا ،

١ ف

٢٢

١٤٠

حتى هزل جسد جلالته هزالا شديدا ؛
إنه لأمر يبعث التفكير فيه على الحزن الشديد .
أين هو ، هل يلزم الفراش ؟

هستنجز : أجل

دوق جلوتر : اسبقني إذن وسألتق بك .

(يخرج هستنجز)

١٤٠

إنمفيا أرجولا يمكن أن يعيش ، ويجب ألا يت
قبل أن يُرسل جورج إلى السماء على عجل .
فلأدخل الآن لأزيد بهغضا لكلازنس ،
بأكاذيب مدعمة أحسن تدعيم بالحجج القوية .
وإذا لم أفشل في خطتي الماكرة ،

١٥٠

فلن يعيش كلازنس بعد اليوم ؛
وليتغمده الله الملك إدورد ، من بعد ، برحمته ؛
وليترك لي الدنيا لأمرح فيها .

وأتزوج حينئذ صغرى بنات « وريك »

ولا على إن كنت قتلت زوجها وحماها ؛

فلأن أسرع وسيلة لاسترضائها

١٥٠

أن أصبح لها زوجا وأبا .

وإني لفاعل هذا ؛ لا بدافع الحب وحده ،

بل أفعله لغاية خفية أخرى ،
لا بد من أن أبلغها بذلك الزواج .
على أن موافق ، إلى الآن ، كموقف عربي تريد أن
تسبق الحصان إلى السوق ؛
فما زال كلارنس على قيد الحياة . وما زال إدوارد
يعيش ويحكم .
ولا يجدر بي أن أحصى أرباحي إلا بعد رحيلهما .
(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثاني

المنظر نفسه — شارع آخر

(يدخل جثمان الملك هنرى السادس فى حراسة حملة الرياح ،
وليدى آن فى ثياب الحداد يحف بها ترسل وبوكلى) .

آن

: ضعوه ! ضعوا حملكم النبيل .

إن كان للنبل أن يحتويه كفن .

ودعوني لحظة أنسح عليه . وأرثى سقوط

سليل لانكستر المجيد ، قبل الأوان .

أيتها الجثة الهامدة الباردة للملك قديس !

أيتها الرماد الكابى من بيت لانكستر .

أيتها البقية من الدم الملكى مالك غاب عنك دم

الحياة !

أبحث لى أن أدعو روحك ،

لتسمع نواح آن المسكينة ،

زوج ولدك إدورد ، ولدك القتل . .

الطعين باليد نفسها التى أصابتك بهذه الجروح !

١٠

٢٥

انظر ! إني لأصب في تلك المنافذ التي انطلقت منها
حياتك

بلسما من عيوني المجهدة لا غناء فيه .

ألا فلتحل اللعنة على تلك اليد التي صنعت تلك
الثقوب !

ولتحل اللعنة على القلب الذي وافته القسوة على فعل
هذه الفعلة !

ولتحل اللعنة على دم ذاك الذي أراق منها دمك .
وليكن مصير ذلك الشقي البغيض الذي أشقانا بموتك
أفزع من المصير الذي أتمناه للذئاب بل للعناكب أو
الصفادع

أو سواها من الزواحف السامة التي تدب على
الأرض .

وإن قدر له أن يوهب الولد، فليأت ولده سقطاشائها
يرى نور الحياة قبل الألوان ،

ويروع منظره القبيح الغريب أمه
التي كانت تعقد عليه الآمال ،

ويرث ما كتب على أبيه من شقاء !
وإذا قدر له أن يتخذ زوجا

٢٢

١٥

٢٠

٢٥

فليكتب لها من الأحزان أكثر مما أصابني بموت زوجي الشاب وموتك .

والآن فلتأخذوا حملكم المقدس ،
الذي أتيتم به من كنيسة القديس بولس
ولتيمموا شطر تشرس لدفنه هناك .
على أن هذا الحمل قد أبهظكم فلتستريحوا ،
بينما أمضي في رثائي بلحمان الملك هنري .
(يدخل جلوستر)

٢٠

دوق جلوستر : انتظروا يا حملة اللحمان وأنزلوه إلى الأرض .
آن : أي ساحر شرير ذلك الذي أخرج هذا الشيطان ،
ليقف في طريق أعمالنا المقدسة الخيرة ؟
٢٥ دوق جلوستر : أيها الأوغاد أنزلوا الجثة ، وإلا فبهق بولس القديس
لأحيلن من يعصيني منكم إلى جثة !
حارس من حملة الرماح : سيدي اللورد تنح وأفسح الطريق للنعش .
دوق جلوستر : أيها الكلب الوقح قف حين أمرك ،
وارفع رمحك بعيدا عن صدري ،
أو بهق بولس القديس لأصرعك تحت قدمي ،
وأطأ بها جسده ، أيها المتسول ، لما أبديت من وقاحة ،
آن : ماذا ! أترعدون ؟ هل أصابكم الخوف جميعا ؟

٤٠

وأأسفاه . ولكنى لا ألومكم فأنتم بشر ،
ولا تستطيع عيون البشر أن تحتل النظر إلى
الشیطان .

إليك عنا يا رسول الجحيم الخفيف ،
فليس لك سلطان إلا على جسده القانى ،
أما روحه فلن تستطيع أن تنالها ! فاذهب .

دوق جلوسر : رحماك أيها القديسة الحميلة ولا تجعلى الغضب
يستبد بك .

أذهب أيها الشيطان القذر بحق الله، ودعنا فى سلام .

فلقد خلقت من الأرض السعيدة جحيا
مليئا بصيحات اللعنة والصرخات المكلومة ،
وإن طاب لك أن تنظر إلى أعمالك البشعة ،
فألقى نظرة على ذلك المثال الناطق بمجازرك .
أيها السادة ، انظروا ! انظروا ،

لقد فغرت الجراح من جثة هنرى أفواهما المتجمدة
وراحت تنزف دما من جديد !
ألا فلتخجل ، ولتخجل يا كتلة من اللئس شائمة ،
إن محضرك هو الذى ينفث هذا الدم ،
من عروق باردة جالغة لا دم فيها .

ف ١

٢٨

إن فعالك الجائحة العجيبة .
تثير هذا الطوفان البالغ العجب .
رباه يا صانع هذه الدماء انتقم لموته !
وأنت أيتها الأرض يا من تشربين هذه الدماء
انتقمي لموته ؛

٦٠

ولتصرع السماء القاتل بصواعقها ،
أو فلتنشق الأرض في سعة وتبتلع حيا ؟

٦٥

كما تبتلع دم ذلك الملك الكريم
الذي صرخته تلك اليد الأنيمة ،
دوق جلوسر : سيدتي ، إنك لا تعرفين شيئا من شرائع الرحمة ،
التي تجزي بالشر خيرا ، وباللعنة بركة .
آن : أيها الشرير ، أنك لا تعرف شيئا من شرائع الله
أو الإنسان .

٧٠

وما من وحش خلا قلبه من الرحمة ، مهما بلغت
ضرارته .
دوق جلوسر : ولكن قلبي لا يعرف الرحمة مطلقا، فأنا إذن لست
حيوانا .

آن

: ما أعجب أن تنطق الشياطين بالحق !
دوق جلوسر : وأعجب من ذلك أن يستبد الغضب بالملائكة .

فلتتعطف سيدتي ، يا من بدت بكما لها في صورة
الملائكة ،

وتأذن لي أن أبرئ نفسي ، بالحجج البينة ، من
تلك الآثام المزعومة .

٧٥

آن : تعطف أنت ، أيها المسيح ،

وأذن لي أن أسوق من الحجج البينة
ما أرى به نفسك الرجيمة بالآثام المفضوحة .

دوق جلوستر : يا من يعجز اللسان عن وصف جمالها ،

هيبني شيئاً من وقتك وصبرك لأبرئ نفسي .

٨٠

آن : يا من يعجز القلب عن إدراك دنسه

لن تستطيع أن تجد عذراً مقبولاً إلا أن تشق
نفسك .

دوق جلوستر : ولكني بمثل ذلك اليأس أدين نفسي .

آن : وباليأس يلتمس لك العذر ،

إذ تكون قد انتقمتم من نفسك انتقاماً تستحقه ؛

٨٥

لما جنيته من قتل من لا يستحق أن يقتل .

دوق جلوستر : أو أقول إنني لم أقتلهما ؟

آن : فلتقل إذن إنهما لم يُقتلا :

ولكنهما الآن قتيلا وبيدك أيها العبد الرجيم .

- ٣٠
- ٩٠ دوق جلوتر : ولكنى لم أقتل زوجك .
- آن : عجبا فهو حىّ إذن ،
- دوق جلوتر : كلا ، لقد مات واغتالته يد إدورد
- آن : إن فك الدنس ينطق بالكذب . فلقد رأت
- الملكة مرجريت
- سيفك الغادر يقطر من دمه ،
- ٩٥ سيفك الذى صوبته يوما إلى صدرها ،
- لولا أن نحاه عنها إخوتك .
- دوق جلوتر : لقد أثارنى لسانها البذى
- ذلك الذى ألقى جرمهم على كتفى البريثتين .
- آن : لقد أثارتك نفسك المولعة بسفك الدماء ،
- ١٠٠ التى لم تفكر قط إلا فى المذابح ؛
- ألم تقتل هذ الملك ؟ أسلم لك بهذا !
- تسلم لى أيها القنفذ ! إذن فليسلم لى الله أيضا
- بأن أستنزل اللعنة عليك جزاء فعلتلك الخبيثة .
- واحسرتاه لقد كان دمثا وديعا فاضلا !
- ١٠٥ دوق جلوتر : وهذا ما جعله أصلح لرب السموات الذى اختاره
- إلى جواره .
- آن : إنه فى اللجنة التى لن تدخلها أبداً ،

٣١

دوق جلوستر : فليشكرنى إذن ، فقد أعنته وأرسلته إلى هناك ،
لأنى رأيته أصلح للسماء منه للأرض .

آن : أما أنت فلا تصلح إلا للجحيم .
١١٠ دوق جلوستر : بل أصلح لمكان آخر إذا أذنت لى أن أسميه ،
آن : سجن مظلم ،

دوق جلوستر : مخدعك .
آن : إن الأرق ليحل فى الغرفة التى تنام أنت فيها .
دوق جلوستر : أجل يا سيدتى حتى أنام معك .
آن : أرجو ذلك .

دوق جلوستر : أعلم ذلك^(١) . ولكن دعينا يا سيدتى الرقيقة ، آن ،
نترك التراسق الحاد بالقرائح .

١١٥ ونفىء إلى شىء من الجلد أهدأ وأرصن .
أليس من كان سببا فى ذلك الموت المبكر
الذى حل بهنرى وإدورد ، سليل بيت بلانتاجت
ملوما لوم من نفذه ؟

١٢٠ آن : إنك أنت السبب والمنفذ الرجيم معاً .
دوق جلوستر : لقد كان جمالك سبب ما فعلت .

(١) تعنى آن بكلمة « تنام » نوميته الأبدية أى موته فى حين يعنى جلوستر بقوله
« أنام » أضاجع — لذلك قالت أرجوذلك وقال هو : أعلم ذلك .

٢٢

- جمالک الذی طالما طاف بی فی منامی ،
ودفعنی إلى أن آخذ علی عاتقی قتل الناس أجمعین ؛
لأستريح ساعة واحدة إلى صدرك الحنون .
- ١٢٥ آن : إذن فاعلم أيها القاتل أنه لو قد دار بخلدى ذلك
لانتزعت جمال خدى بأظافرى هذه .
- دوق جلوتر : إن عینى لا تحتملان أن تنظرا إلى حطام الجمال
البديع ،
فلا ينبغي أن تشوّهه بمشهد منى .
فكما يفرح الناس جميعا بنور الشمس .
- ١٣٠ آن : كذلك أفرح بجمالک . فهو شمسی وحياتی .
آلا فليغش الليلُ البهيمُ نهارک ، وليطمس الموت
حياتک .
- دوق جلوتر : لا تستنزلى اللعنات على نفسك ، أيتها المخلوقة
الجميلة ، فأنت النهار والليل كلاهما .
آن : وددت لو كنتهما لأثار منك .
دوق جلوتر : إنها لخصومة عجيبة
١٣٥ آن : أن تبغى الثأر ممن يحبك .
آن : إنها لخصومة قوامها الحق والعقل ؛
أن أثار ممن قتل زوجى .

٣٣

: إن من سلبك زوجك ، يا سيدتى ، قد فعل ذلك
ليبي لك زوجا أفضل .

: ليس بين الأحياء من هو أفضل منه .

: بل إنه ليعيش هذا الذى يحبك أكثر منه .

: سمه

: بلانتاجنت

: عجا لقد كان بلانتاجنت

: إنه ليعرف بهذا الاسم نفسه ؛ ولكنه من معدن

أفضل .

: وأين هو ؟

: هنا .

(تبصق عليه) .

لماذا تبصقين على ؟

: وددت ، من أجلك ، لو أن بصقتى كانت سما

قاتلا .

: ما كان لهذا الموضع العذب أن ينفت السم أبداً ،

: ما نفت سم على ضفدع أقدر منك !

أغرب عن وجهى فإنك تؤذى عيني .

: أما عينك ، يا سيدتى الحلوة ، فقد سحرتا عيني .

٢٢

دوق جلوتر

١٤٠ آن

دوق جلوتر

آن

دوق جلوتر

آن

دوق جلوتر

آن

دوق جلوتر

١٤٥

دوق جلوتر

آن

دوق جلوتر

١٥

٣٤

- ١٥٠ آن : وددت لو كانتا عيني أفعى تصرعانك بسحرهما .
- دوق جلوستر : وددت لو كانتا كذلك لأموت ميتة سريعة ؛
فإنهما الآن تسلباني كل معنى للحياة .
- لقد استنزفت عيناك هاتان من عيني دموعاً مرة ؛
وقرحت منهما الجفون بما سكبتا من قطرات غزيرة .
- كدموع الأطفال ،
- ١٥٥ عينيّ اللتين لم تسكبا من قبل دموع الندم قط ؛
حتى حين بكى أبي يورك ولادورد ،
إذ سمعا أنين « روتلاند » الأليم ،
بعد أن طعنه بالسيف « كليغورد » ذو الوجه العبوس .
- ولا حين روى أبوك الباسل قصة مصرع أبي
الأليمة ،
- ١٦٠ وقطع حديثه أكثر من مرة ليبيكي وينتحب
كالأطفال ؛
- حتى بللت دموع الحاضرين خدودهم كما يبيل المطر
الأشجار ؛

ففي ذلك الوقت المليء بالحزن
لم ترق عيناي الأبيتان دمة واحدة
تفصح عن الذلة والمسكنة .

٣٥

ولكن جمالك قد استطاع أن ينزل ما استعصى
على تلك الأحزان ، فغامت عيناي من كثرة البكاء .
ومع أنى لم أتوسل قط إلى عدو أو صديق ،
ولم يتعود لسانى أبدا أن ينطق بالحديث الحلو الرقيق ،
فإن جمالك قد دفعنى إلى الكلام ،
وقلبى الأبى بحث لسانى ويتوسل إليه أن ينطق .
(تنظر إليه بازدياء)

لا تعلمى شفتيك هذا الازدياء ، يا سيدتى ،
فقد خلقنا للقبل لا للمثل هذا الاحتقار .
وإذا لم يستطع قلبك الحريص على الثأر أن يغفر ،
فهانذا أقدم إليك هذا السيف الصارم ،
لتغمديه ، إذا شئت ، فى صدرى المخلص ،
وتزهقى روحى التى تعبدك .
إنى أكشف عنه للضربة القاضية ،
وأضرع إليك جاثيا أن تقتلينى .
(يكشف عن صدره فتشهر سيفه نحوه)

لا ، لا تحجمى فإنى حقا قد قتلت الملك هنرى ،
وإن كان يجمالك هو الذى دفعنى إلى ذلك .
فهلمى ، هلمى ، فأنا الذى طعنت إدورد الشاب

٢٢

١٦٥

١٧٠

١٧٥

١٨٠

١٨

٣٦

وإن كان وجهك النوراني هو الذى حفزنى .
 خذى السيف ثانية . . أو فخذينى زوجا .
 : انهض أيها المنافق فلن أكون أنا قاتلتك ،
 وإن تمنيت لك الموت .
 (تسقط السيف من يدها)

آن

١٨٥٠

دوق جلوستر : إذن مرينى أن أقتل نفسى فأفعل .
 آن : سبق أن أمرتك بهذا .
 دوق جلوستر : لقد كان ذلك فى سورة غضبك .
 ولكن قولها مرة أخرى ،
 وعندئذ تقتل هذه اليد فى سبيل حبك حبا أشد
 إخلاصا :

من ذلك الحب الذى صرعت من أجل حبك ،
 وستكونين السبب فى مصرعهما .

١٩٠

آن : وددت لو عرفت قلبك !
 دوق جلوستر : إن صورته على لسانى .
 آن : أخشى أن يكون كلاهما زائفا .
 ١٩٥ دوق جلوستر : إذن فلن يكون على ظهر الأرض لسان مخلص .
 آن : حسبك ، حسبك وضع سيفك فى غمده .
 دوق جلوستر : قولى إذن إن السلام قد عاد بيننا .

- آن : ستعرف ذلك فيما بعد .
 دوق جلوتر : ولكن أيمكننى أن أحيا على رجاء ؟
 آن ٢٠٠ : كل الرجال فيما أعتقد يحيون عليه .
 دوق جلوتر : تعطى والبسى هذا الخاتم .
 آن : إن الأخذ لا يعنى العطاء .

(تضع الخاتم فى إصبعها)

- دوق جلوتر : انظرى كيف يطوق هذا الخاتم إصبعك
 كما يطبق صدرك على قلبى المسكين .
 ٢٠٥ خذيها كليهما فكلامهما لك .
 وإذا أذنت لعبدك الضارع المسكين
 أن يسأل يدك الخائبة صنيعاً واحداً ،
 فستوثقين سعادته إلى الأبد .

آن : وما هو ؟

- ٢١٠ دوق جلوتر : أن تتفضلى فتتخلى عن مهمتك الأثيمة .
 لذلك الذى يستحق الحزن أكثر منك .
 وترجعى حالا إلى قصر « كروسي »
 حيث أوافيك بأسرع ما أستطيع لأراك ،
 بعد أن أكون قد دفنت هذا الملك النبيل فى دير
 « تشرسى »

١ ف

٣٨

وبللت قبره بدموع الندم . ٢١٥
أضرع إليك أن تصنعى هذا المعروف
وإن لم تعرفى دواعيه الخفية الكثيرة .
: من كل قلبي ! وإنه ليسرنى كل السرور
أن أرى مبلغ ندمك .

آن

٢٢٠

فلتصحبانى أى تريسل وبيركل .
: قولى لى كلمة وداع .
: دوق جلوستر
: آن
: إنها لأكثر مما تستحق ؛
أما وأنت تعلمنى كيف أتملكك ،
(تخرج آن يتبعها تريسل وبيركل)

فتخيل أنى قلت لك « إلى اللقاء » .

: دوق جلوستر
: احملوا الجثمان أيها السادة .

إلى « تشرسى »

٢٢٥

رجل من حملة الرماح : إلى « تشرسى » أيها اللورد النبيل ؟

: لا ، بل إلى هوايت فرايزر . وهناك انتظروا مقدمى

: دوق جلوستر

(يحملون الجثمان ويمضون)

هل رأى أحد امرأة قط خطب ودها رجل على هذا

النحو ؟

٣٩

٢٢

وهل رأى أحد قط امرأة ظفر بها رجل على هذا
النحو؟

٢٣٠

سأناها ، ولكننى لن أحتفظ بها طويلا .
ماذا ! آخذها — أنا الذى قتل زوجها^(١) وأباه —
بكل ما فى قلبها من حقد دفين ،

وما على لسانها من لعنات وما فى عيونها من دموع ،
وكانها دماء تشهد على ما تحمل لى من بغضاء ؟
وهذه السدود — هى ، والله ، وضميرها — تقف

٢٣٥

بيتى وبينها ؛
وليس لى البتة من معين فى توددى إليها
إلا الشيطان الدميم ونظرات الرياء —
— أفوز بها رغم كل ذلك ! والظروف مجتمعة
تناهضنى ؛

— عجبا !

٢٤٠

— أتراها قد نسيت إدورد ، ذلك الأمير الشجاع ،
زوجها الذى طعنته فى سورة غضبى فى توكسبرى ،
منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ؟

(١) الواقع أنه كان خطيبها ليس غير .

ذلك السيد المليح الحلو الشماثل ،
الذى لن تستطيع الدنيا على سعتها أن تجود بمثله .
لما أغدقت عليه الطبيعة من هباتها -

٢٤٥

شاب ، شجاع ، عاقل ، ذو صفات ملكية أصيلة
لا شك فيها .

أستطيع بعد ذلك أن تدنس عينيها بمراى ،
أنا الذى هصر شباب هذا الأمير الجميل فى ريعانه ،
وجعلها أرملة لفراش كتيب مكلوم ؟

٢٥٠

تقع عينيها على أنا الذى لا يساوى بأجمعه نصف إدورد !
على أنا الأعرج المشوه بصورتي هذه !
ولكن يبدو أننى قد انتقصت من قدر نفسى طوال
هذا الوقت ؛

وهذا ما أراهن عليه بدقيتين نظير فلس واحد .

ولا شك أنها ترانى رجلا وسيما حقا ،

فإن لم أستطع أن أرى أنا ذلك ،

٢٥٥

فلأتحمل ثمن مرآة اشتريها ،

ولأستخدم عشرين أو أربعين حائكاً ،

ليصنعوا من الأزياء ما يزدان به جسمى .

وما دمت قد رضيت عن نفسى

٤١

فلأبذل قليلا ثمنا لهذا الرضا .
ولكن لا بد لي أن أغيب هذا الرجل في قبره أولا .
ثم أعود باكيا إلى حبيبتى .
فلتشرق أينها الشمس الجميلة حتى أشتري مرآة
أرى فيها صورتي كلما سرت !
(يخرج)

٢٢

٢٦٠

الفصل الأول

المنظر الثالث

لندن . القصر

(تدخل الملكة إليزابيث واللورد ريفرز واللورد جراي)

- ريفرز : صبرا سيدتي ، فلا شك أن جلالة الملك
سيسترد سريعا ما كان عليه من عافية .
- جراي : إن جزعك عليه يزيد من علمته ،
فبالله عليك هلاّ هدأت نفساً ، وأدخلت السرور
إلى قلب جلالته ،
بإقبالك عليه ضاحكة السن قريرة العين .
- ٥ . الملكة إليزابيث : ماذا يكون مصيري لو مات ؟
- جراي : لن يصيبك من ضرّ إلا فقد ذلك السيد الجليل .
- الملكة : إن في فقد ذلك السيد كلّ ضر .
- جراي : لقد وهبك الله ولداً باراً ، يعزيك عن فقدته .
- ١٠ . الملكة : أواه ! إنه ما زال صغيراً ،
وسيكلفه رتشارد جلوستر ،

٤٣

وهو رجل لا يحبني ، ولا يحب أحدا منكما ،
: أو قد قر الرأي على أن يكفله .
: هذا ما نعقد العزم عليه ، وإن كان لم يتقرر
بعد ؛

٣٢

ديفرز

الملكة

١٥

وهو ما لا بد أن يكون إن حدث للملك مكروه .
(يدخل بكنجهام وستانلى أيرك دري)

جراى

بكنجهام

ستانلى

الملكة

٢٥

: ها قد حضر لورد بكنجهام ولورد دري .
: طاب وقتك يا صاحبة الجلالة .
: أعاد الله إلى جلالتك مرحك السالف ،
: إن الكونتس ريشموند ، يا عزيزى اللورد دري ،
يشق عليها أن تؤمن على دعائك الكريم .
على أنى أؤكد لك أننى لا أحمل لك كرها ،
لا من أجل كبريائها أو صلفها ،
رغم أنها زوجك وأنها لا تعجبني .
: رجوتك مخلصا ألا تصادق

ستانلى

٢٥

ما يفتره عليها حاسدوها الكاذبون .
وإن كان ما يبلغك عنها صحيحا ،
فاغضرى لها زلتها ، إنها ترجع إلى مرضها الذى يجعلها
متقلبة الأطوار ،

ولا ترجع إلى شر متأصل في نفسها .

ريفرز : أرأيت الملك اليوم يا سيدى اللورد دربي ؟
٣٠ ستاتل : لقد عدنا الآن حالا ، أنا والدوق بكنجهام ، من
عند جلالته .

الملكة الزابث : إلى أى حد تأملان في شفائه ، أيها اللوردان ؟
بكنجهام : أملا كبيرا ياسيدتى . إن جلالته يتحدث في مرح .
الملكة الزابث : كتب الله له الشفاء ! هل تحدثنا إليه ؟
بكنجهام : أجل يا سيدتى . وهو يرغب في أن يصلح
بين دوق جلوستر وبين إخوتك ؛
٣٥ وبينهم وبين اللورد ، كبير أمناء القصر ؛
وقد أرسل يطلبهم إلى حضرته .

الملكة الزابث : وددت لو انتهى كل شيء إلى خير . ولكن ذلك لن
يكون ،

فلأني لأخشى أن تكون سعادتنا قد بلغت ذروتها^(١)

(يدخل دوق جلوستر وهيستنجز ودربى)

٤٠ دوق جلوستر : إنهم يسيثون إلى ولن أحتمل إساءتهم .
من هم أولاء الذين يشكون إلى الملك ، ؟
إني قاس ، وإني لا أحبهم ؟

(١) تعنى أن سعادتها قد بلغت أسمى ما يمكن أن تصل إليه ولا بد أن تبدأ في الانحدار .

٤٥

٣٢

وحق القديس « بولس » إنهم لا يحبون جلالته إلا
أيسر الحب ؛
أولئك الذين يملأون أذنيه بتلك الشائعات التي
تباعد بين القلوب .

٤٥

الأنى لا أحسن التملق ، ولا التطرف ،
ولا ألقى الرجال بالابتسام ، ولا أداهن ، أو
أنخدع ، أو أنخاتل ،
ولا أنحنى انحناءات الفرنسيين ، وأتودد تودد القروء ،
ألهذا أتخذ عدوا لدودا ؟

ألا يستطيع رجل صريح أن يعيش دون أن
يضمّر شرا ؟

٥٥

أليس بد من أن يشوه السفلة ،
المخنثون ، الماكرون ، المداهنون ، حقيقته الناصعة ؟
جراى : إلى من توجهون فخامتكم الخطاب من بين هذه
الجماعة ؟

دوق جلستر : إليك أنت يا من لا شرف له ، ولا فضيلة ،

متى آذيتك ، متى أثمت في حقك ؟

أو أنت ؟ أو أنت ؟ أو أى واحد من عصبتكم ؟

٥٥

قاتلكم الله جميعا ! إن جلاله الملك ،

الذى تشمله رعاية أكثر مما تتمنون له ،

لا يكاد ينعم بالهدوء لحظة ،

حتى تزعجوه بشكاواكم الحسيسة .

٦٠ الملكة إلزابث : أخى جلوستر ، لقد أخطأت فهم الأمر .

إن الملك قد أرسل إليك بمحض إرادته الملكية ،
ولم يحرضه أحد .

ولعله قد فطن إلى حقك الدفين ،

ذلك الذى تفصح عنه أعمالك المكشوفة ،

ضدى وضد أولادى وإخوتى . ٦٥

ولعله باستدعائك

يعرف أسباب ذلك الحقد ، ويقضى عليه .

دوق جلوستر : لست أدرى ، فإن الدنيا قد ساء أمرها ،

حتى غدت العصافير تقتنص صيدها من قعم
لا تعجزو التسور أن ترتفع إليها .

وما دام كل وضع قد صار سيذا ، ٧٠

فإن كثيرا من السادة قد أصبحوا وضعاء .

الملكة إلزابث : مهلا، مهلا ! إنى أعرف ماتعنيه، أى أخى جلوستر ،

إنك تحسدنى ، أنا وأصدقائى ، لما ننال من رفعة .

لذلك أدعو الله ألا يحوجنا إليك أبداً .

٤٧

٧٥ دوق جلستر : وأنا أدعو الله ، كذلك ، ألا يوقعني في محنة
تحوجني إليك .

فلقد كنت السبب في سجن أخي ،
وفيا لحقي من عار ، وما أصاب النبلاء من مهانة .
على حين تُغدق العطايا الجزيلة
كل يوم لترفع إلى مرتبة النبلاء
أولئك الذين لم يكونوا يملكون قبل يومين اثنين
ما يجعلهم جديرين بهذا اللقب .

الملكة الزابث : أقسم بمن رفعتني من منزلي التي كنت قانعة بهاراضية عنها .
إلى تلك القمة المحفوفة بالخاوف ،

أني ما أثرت جلالته قط على دوق كلارنس ،
بل لقد حاولت جهدي أن أشفع له عنده .
إنك تسيء إلى أيها السيد إساءة مخزية
بإثارتك حولي هذه الشكوك الدنيئة زورا وبهتانا .

دوق جلستر : لعلك تنكرين أنك كنت السبب .

في الزج بالورد هيستنجز أخيرا في السجن .

٩٠ ريفرز : إن لها أن تنكر يا سيدى اللورد فإن . . .

دوق جلستر : إن لها أن تنكر أي لورد ريفرز ، فما من أحد
بجهل هذا .

إنها تستطيع يا سيدى أن تمضى إلى أبعد من
إنكار ذلك .

فتعينك على الوصول إلى منافع جزيلة ،
ثم تنكر بعد ذلك أنها أعانتك ،

وتعزو ما نلته من شرف إلى مواهبك العالية .
أى شيء هذا الذى لا يستطيعه ؟ إنها
تستطيع . . أجل وأيم الحق أنها تستطيع . .

٩٥

ريفرز : ما الذى يستطيعه بالله عليك ؟

جلوستر : ماذا يستطيع بالله ! يستطيع أن تتزوج من ملك ،
ملك أعزب وسيم فى مبة الصبا :

١٠٠

ولا شك أن زيجة جدتك كانت أسوأ .

الملكة الزابت : يا سيدى اللورد جلوستر ! لقد صبرت

أطول مما ينبغي على إهانتك الوقحة ،

وسخرياتك المرة . والله لأنبتن جلالته بما احتملت
من إساءات بالغة . فلانى لأوتر أن أكون خادما

١٠٥

ريفية

على أن أكون ملكة عظيمة على هذه الحال ؛
أهان وأزدرى وأهاجم بهذا الأسلوب .

(تدخل الملكة مرجريت وتقف إلى الخلف)

إني لم أجد في اعتلائي عرش إنجلترا إلا قليلا من
السعادة .

الملكة مرجريت : رب زد ذلك القليل قلة !

١١٠ . إن مكانتك وملكك وعرشك كلها من حق .

دوق جلستر : ماذا ! أتهددينني بإبلاغ الملك ؟

أبلغيه ولا تحجبي عنه شيئا !

اسمعي : إني سأعترف أمام الملك بكل ما قلته .

وأخاطر بالذهاب إلى البرج .

١١٥ . لقد آن لي أن أتكلم ما دامت جهودي قد نسيت

كل هذا النسيان .

الملكة مرجريت : اذهب أيها الشيطان ! إني لا زلت أذكر جهودك

حق الذكر .

لقد قتلت زوجي هنري في البرج

وولدي إدورد المسكين « توكسبرى »

دوق جلستر : لقد كنتُ — قبل أن تصبحي ملكة بل قبل أن

يصبح زوجك ملكا —

مطية له في جليل شؤونه ،

أحصد أعداءه الأقوياء حصدا ،

وأكافئ بسخاء أصدقاءه .

١٠

٥٠

ولقد أرت دمي لأجعل من دمه دماً ملكياً .

الملكة مرجريت : أجل ، وأرت دماً أركي كثيراً من دمه ودمك !

١٢٥ دوق جلستر : بينما كنت طوال ذلك الوقت أنت وزوجك جرای

نصيرين لبیت لانكستر .

وكذلك كنت يا ريفرز ، ألم يقتل زوجك

في معركة مرجريت في سانت أولين ؟

دعيني أذكرك - إن كنت قد نسيت -

بما كنت من قبل وما أنت عليه الآن ؛

١٣٠

ثم بما كنته أنا وما أنا عليه الآن .

الملكة مرجريت : كنت وغدا قاتلاً وما زلت كذلك !

دوق جلستر : لقد خذل كلارنس المسكين أباه^(١) وريك

أجل وحنث بقسمه ، غفر الله له !

١٣٥ الملكة مرجريت : أخذه الله بحنثه !

دوق جلستر : ليقاتل إلى جانب إدورد في سبيل التاج

وكان حصاد هذا اللورد المسكين من ذلك أن حصد

هو نفسه

وددت لو جعل الله لي قلباً كقلب إدورد ، قد

من صخر ،

١٤٠. أو لو جعل قلب إدورد رقيقا رحيا كقلبي .
لأننى ساذج كالطفل لا أصلح لهذه الحياة .
الملكة مرجريت : إلى الجحيم بعارك إذن واطرك هذه الحياة ؛
فهناك دولتك أيها الشيطان الرجيم !
لورد ريفرز : يا سيدى اللورد جلوستر ، لقد كنا فى تلك الأيام
الصاخبة .
١٤٥. التى تذكرنا الآن بها لتبرهن على أننا من الأعداء ،
نتبع سيدنا وملكنا الشرعى .
وكذلك سنتبعك إن أصبحت ملكا علينا .
دوق جلوستر : إن أصبحت ملكا عليكم ! إني لأؤثر أن أكون
بائعا جوالا .
إن التفكير فى ذلك لأبعد ما يكون عن نفسى .
الملكة إلزابث : إن كنت ترى أيها السيد أنك لن تظفر بقليل من
السعادة
١٥٠. إن أصبحت ملكا على هذه البلاد ،
فخليق بك أن ترى ضالة سعادتي
وأنا ملكة عليها .
الملكة مرجريت : إن حظ ملكة هذه البلاد من السعادة حظ ضئيل ،
فإننى أنا هى — بائسة كل البؤس .

١٥

٥٢

إني لم أعد أطيق صبرا .

١٥٥

(تتقدم نحوهم)

استمعوا إلى أيها القرصان المختصمون ،

يا من تختلفون حول اقتسام ما اغتصبتموه مني !

من منكم لا يرتجف حين ينظر إلى ؟

إن كنتم لا تنحنون كالرعية لأنني لم أعد ملكة ،

فإنكم مع ذلك ترتعدون كالمارقين لأنكم خلعتُموني !

١٦٠

أيها الوغد الرعديد ، لا تشح بوجهك عني .

دوق جلوستر : أيها العجوز الدنسة المغضنة الأساير - ، ما الذي

جاء بك إلى هنا ؟

الملكة مرجريت : لا شيء ، إلا لأحصى ما اقترفت من آثام

وبعدها أدعك لشأنك .

١٦٥ دوق جلوستر : ألم يحكم عليك بالنفي وإن عدت كان جزاؤك الموت ؟

الملكة مرجريت : بلى ، لكنني أجد في النفي ألما

لا أجدّه في موقى بالبقاء هنا .

إنك مدين لي بزواج وابن . وأنت بمملكة !

أيها الحلفاء جميعا

إن ما أعانيه من شقاء هو من نصيبكم . حقا وعدلا ،

١٧٠

أما جميع ما تنعمون به من مسرات فهو من حقى .

٥٣

٣ م

- دوق جلوستر : تلك هي اللعنة التي استنزها عليك أبي النبيل
 حينما توجت جبينه الباسل بالورق ،
 وأسلت الدموع أنهاراً من عينيه يلهافاتك ،
 ثم أعطيته - لكي يحفظهما - منديلا
 ١٧٥
 قد غمس في الدم الطاهر الذي فاض من روتلاند
 الجميل .
 إنها لعناته كلها قد حقت عليك ، لعناته التي
 استنزها
 عليك بكل ما في روحه من مرارة .
 إن الله هو الذي اقتص من فعلتك الدموية
 لا نحن .
 ١٨٠ الملكة إلزابيث : ما أحكم عدالة السماء فقد انتقمتم للأبرياء .
 هينتجز : أي والله ، لقد كان قتل ذلك الطفل
 عملاً دنسا لم يسمع بمثله من قبل ،
 بل لقد كان أفظع ما سمعنا به من فعال !
 ريفرز : لقد بكى الطغاة أنفسهم حين سمعوا به .
 ١٨٥ دورست : ما من أحد إلا تنبأ بالقصاص له .
 بكنجهام : لقد بكى « نورثمبرلاند » وكان حاضرا - حين
 شهده .

ف ١

٥٤

الملكة مرجريت : عجباً ! أبعد أن كان كل منكم قبل مقدي

يكشر عن نابه لأخيه متحفزاً لينقض على عنقه .

تتحولون بكل بغضائكم إلى ؟

هل استجابات السماء كل هذه الاستجابة للجنة

١٩٠

يورك المروعة ،

حتى تكفر عن مقتل ذلك الصبي التافه

بموت هنري وموت إدورد الحبيب

وضياع ملكهما ونفي المؤلم ،

أو تستطيع اللعنات أن تخرق السحب وتنفذ إلى

السماء ؟

إذن فأفسح الطريق أيتها السحب الكثيفة للعتاق

١٩٥

المضطربة !

فليت ملكاك بالتخمة^(١) إذا لم يمت بالحرب ،

كما مات ملكنا غيلة لكي يصير هو ملكاً !

وليت ابنك إدورد ، الذي هو الآن أمير ويلز ،

قصاصاً لابني الذي كان أمير ويلز ،

وليت في صباه ميتة نكراء مبكرة كما مات ولدي !

٢٠٠

وليتقتص منك ، أنت الملكة ، لي أنا التي كانت ملكة ،

(١) إشارة إلى ما عرف عن إدورد الرابع من هم .

٣٢

••

فتعيشى بعد أن يموت مجدك مثلى أنا البائسة !
ويمتد بك الأجل لتبكي فقد أبنائك ،
وترى ، كما أرى أنا الآن ،
امرأة أخرى تستمتع بحقوقك كما تستمتع الآن
بحقوقى !

٢٠٥

ولمت سعادتك قبل موتك بزمن مديد ،
وبعد دهر طويل من الأسى .
فلتموتى غير أم ولا زوجة ولا ملكة لإنجلترا !
أى ريفرز ودورست ، وأنت يا لورد هيستنجز ،
لقد كنتم شهودا

٢١٠

حين طعنت الخناجر الدامية ولدى .
فالله أدعو ألا يعيش أحدكم أيامه كاملة ،
بل تنتقص عمره فجاءت الحوادث .
دوق جلستر : أفرغت من تعاويذك أيتها الحيزبون الداوية البغيضة ؟
٢١٥ الملكة مريريت : أو أعفيلك من اللعنة ؟ انتظر أيها الكلب لتسمع
ما أقول :
إن كانت السماء تدخر من نكباتها الأليمة ما يفوق
ما أتمناه لك ،
فلتحتفظ بها حتى تنفج آثامك .

١٨

٥٦

ثم لتقذف حينئذ بسخطها عليك
يا من يعكّر صفو هذه الحياة البائسة .
ولتدأب وخزات الضمير على الحز في نفسك !
ولتظن بأصدقائك الخيانة في حياتك ،
ولتخذ أعز خلانك من الخونة العريقين ،
وليحجف النوم عن عينيك البشعتين ،
إلا حين يروعك حلم مخيف بجحيم من الأبالسة
الشوه .

٢٢٠

أنت أيها المسيح المشنوم ، أيها الخنزير النهم ،
يا من كتب عليه منذ مولده
أن يكون وضيع الخلق شريرا ،
من أبناء الجحيم ، وخزيا لرحم أمه الحزين .
أيها النسل الذي يزدرية صلب أبيه ،
يا خرقه الشرف البالية ، أيها البغيض الممقوت !

٢٢٥

٢٢٠

دوق جلوتر : مرجريت !
الملكة مرجريت : رتشارد !
دوق جلوتر : لبيك !
الملكة مرجريت : لست أدعوك .
دوق جلوتر : معذرة ، فقد حسبت

إنك دعوتني بكل تلك الأسماء المريعة !

الملكة مرجريت : أجل لقد دعوتك، ولكنى لم أنتظر منك جوابا .

فلتدعنى أختم لعنتى !

٢٣٥

دوق جلوستر : لقد ختمتها أنا بقولى : مرجريت .

الملكة إلزابث : وهكذا استترلت لعنتك على نفسك .

الملكة مرجريت : أيتها الملكة الزائفة ، يا مظهرا فارغا لما كان عليه

مجدى ،

لماذا تنثرين شهيدك على هذا العنكبوت المتضخم

بالسم

هذا الذى يلفك بشباكه القاتلة ؟

٢٤٠

حمقاء ، حمقاء ! إنك تشعذين سكيننا تقتلين

بها نفسك ،

وسياتى يوم تسألينى فيه أن أستترل معك اللعنات

على تلك الضفدعة السامة الحدياء .

هيتنجز : أيتها العرافة الكاذبة : كفى عن لعناتك المحمومة ،

ولأضاق بك صبرنا فأذيناك .

٢٤٥

الملكة مرجريت : خزيا لك ! لقد ضاق بك صبرى .

ريفرز : لو كنت قد عوملت بما تستحقين لتعلمت الأدب .

الملكة مرجريت : لو عوملت بما أستحق لأبديتم نحوى ما يجب من أدب .

١٨

٥٨

ولا اعتبرتموني ملكتكم واعتبرتم أنفسكم رعاياي .

ألا فلتعاملوني بما أستحق ، ولتعرفوا واجبكم !

٢٥٠

دورست : لا تجادلوها فإنها مخلوقة ،

الملكة مرجريت : رويدك أيها السيد المركيز لا تكن وقحا .

إن الناس لم يكادوا يألفون لقبك هذا الجديد .

وددت لو استطعت أيها النبيل المحدث

أن تقدر كيف يكون حزنك لو فقدته !

٢٥٥

إن من يقفون على القمة يتعرضون لكثير من

العواصف

التي تهزمهم ، فإذا ما سقطوا تمزقوا إربا !

دوق جلوتر : تلك حكمة جميلة والله — فاحفظها — احفظها

أيها المركيز .

دورست : إنها تمسك يا سيدي بقدر ما تمسني .

٢٦٠ دوق جلوتر : أجمل وأكثر مما تمسك . ولكنني أقف على القمة

منذ مولدي ،

فعشنا العالي قد بنى على قمة شجر الأرز ،

يعبث بالرياح ويستخف بالشمس ،

الملكة مرجريت : ويحيل نور الشمس إلى ظلام ،

واحسرتاه ، واحسرتاه

إن شمس ابني الآن في ظلام الموت !
بعد أن طوى الحقد أشعتها المنتشرة المشرقة في
ظلام أبدى .

٢٦٥

إن عشكم العالی يقوم مكان عشنا العالی .
رب إنك تراه ، فلا تغفل عنه نعمتك ،
وكما كسبهه بالدماء ، فليفقده بالدماء !
: حسبك ، حسبك ! إن لم يكن رحمة بي فخر يا منك .

٢٧٠ جلوسر

الملكة مرجريت : لا تحثني على رحمة أو خزي ،

فقد عاملتني بغير رحمة ،

واغتلت آمالي بكل خزي ،

حتى أصبحت رحمتي غضبا وحياتي خزيا ،

وفي ذلك الخزي ما زالت سورة حزني تعيش !

٢٧٥

بكنجهام : كفى . . كفى !

الملكة مرجريت : أي أميري بكنجهام ، سأقبل يدك ،

ليكون ذلك شاهدا على ولائي وصداقتي لك :

فلتكتب السعادة لك ولييتك النبيل ،

فإن ثيابك لم تلتطخ بدمائنا ،

٢٨٠

ولعنتي لم تشملك .

بكنجهام : ولا شملت أحداً من الحاضرين ، فإن اللعنات

لا تمضي أبداً

١٠

٦٠

إلى أبعد من شفاء من ينفثونها في الهواء .
الملكة مرجريت : لست أومن إلا بأنها تصعد إلى السماء .
فتعكر صفو أمنها وسلامها .

٢٨٥

(بينا وبينه)

أى بكنجهام حذار من ذلك الكلب ! حذار
فإنه يعض حين يتملق ، وحين يعض
يخلف نابه المسموم قرحة قاتلة .
اقطع صلتك به ، حذار منه ،
فقد تركت الخطيئة والموت والجحيم سماتها عليه ،
وقامت على خدمته كل شياطينها .

٢٩٠

دوق جلوتر : ماذا تقول يا سيدى اللورد بكنجهام ؟
يكنجهام : لا شيء ذا بال يا سيدى الكريم .
الملكة مرجريت : ماذا ! أتستخف بى لما أسديت إليك من نصيح
رفيق ؟

وتتملق ذلك الشيطان الذى حذرتك منه ؟

إذن فاذكر ذلك حين يجىء يوم

ينفطر فيه قلبك من الأسى ؛

٢٩٥

وإذ ذاك ستقول إن مرجريت المسكينة قد كشف

عنها الحجاب .

٦١

فليعيش كل منكم مطية لبغضائه ، وليعيش هو
هدفا لبغضائكم .
ولتعيشوا جميعا وقد حلت بكم بغضاء الله .

٢٢

٣٠٠

(تخرج)

هستنجز : إن شعري ليقفّ من سماع لعنائها .
ريفرز : وكذلك يقفّ شعري — إني لأعجب لماذا يتركونها
طليقة .

دوق جلوستر : لست أستطيع أن ألومها ، فبحق العذراء
لقد قاست من الظلم أكثر مما ينبغي ،
وإني لأشعر بالندم لما شاركت في هذا الظلم .
الملكة إلزابث : لست أعرف أنى ظلمتها قط .

دوق جلوستر : ولكنك تنعمين بعاقبة ما نالها من ظلم .
لقد أخذتني الحمية في خدمة أحد الناس ،
ولكنه الآن يذكر خدماتي في فتور .
أما عن كلارنس فبحق العذراء لقد جوزى خير
الجزاء .

٣١٠

وها هو ذا يسمن للذبح تقديرا لجهده ا
غفر الله لمن كانوا سبب سجنه .
ريفرز : تلك خاتمة طيبة تلائم شرائع المسيحية ،

أن نسأل الغفران لمن آذانا .

٣١٥ دوق جلوستر : إنه لأمر طبيعي (بينه وبين نفسه) وهو عين العقل ،
فلوا استنزلت اللعنة لكنت قد استنزلتها على نفسي
(يدخل كاتسي)

كاتسي : مولاتي ، إن الملك يدعوك
ويدعو فخامتك — ويدعوكم يا سادتي الاوردات .
الملكة إلزابث : أي كاتسي ، سأتى ، هلا أتيتم معي أيها السادة .
٣٢٠ ريفرز : سنصحبك يا سيدتي

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)
دوق جلوستر : إنى أقترف الإثم وأبدأ بالشكوى ،
وأتم الآخريين بأشنع ما دبرت من شرور .
فهانذا أبكى لمصير كلارنس
الذى رميته رمياً فى ظلمات السجن .

٣٢٥ أمام هؤلاء السذج المخدوعين
هيسئعجز ، ودربى ، وبكنجهام ،
وأزعم أن الملكة وشيعتها
هم الذين أثاروا الملك على أخى الدوق ،
وها هم أولاء قد صدقوا قولى فهم يحماونى
على أن أنتقم من ريفرز وفوجان وجرأى ،
٣٣٠

٣٢

٦٣

ولكنى أنحسر وأسوق لهم نصا من الإنجيل
بأن الله يوصينا بأن نجزى بالشر خيرا .
وهكذا استر شرى المفضوح
بحرق أسرقها من الكتاب المقدس ،
فأبدو كالقديس وأنا أمضى فى تمثيل دور الشيطان !

٣٣٥

(يدخل قاتلان)

ولكن مهلا ها هما ذان القاتلان .
أى صديقى القويين الجريئين المصممين
أذهبان أنما لأداء تلك المهمة ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاي — وقد جئنا لنأخذ الإذن

بالدخول إلى حيث يقيم .

٣٤٠

دوق جلوستر : أحسنهما التدبير — إنه معى هنا

عندما تفرغان اذهبا إلى قصر « كروسي » .

(يعطيه الإذن)

ولكن عليكم أن تعجلا بقتله أيها السيدان ،
وأن تكونا مصممين فلا تستمعا إلى توسلاته .

فإن كلارنس بارع الحديث ، وربما استطاع

٣٤٥

أن يعطف قلبيكما إن أنما استمعنا إلى حديثه .

القاتل الأول : هه ! اطمئن يا سيدى فلن نستمع إلى هرائه .

إن أصحاب الكلام لا يحسنون العمل ،
وثق أننا جئنا لنستخدم أيدينا لا لسانينا .
٣٥٠ دوق جلوستر : إن عيونكما لا تذرف إلا الصخر حين تذرف
عيون الحمقى دموعاً ،
إني معجب بكما أيها الفتيان فامضيا إلى عملكما
ولا تلويان على شيء
اذهبا ، اذهبا — وعجلا .
القاتل الأول : سنذهب يا سيدى .
(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الرابع

لندن . البرج

(يدخل كلارنس وبراكنبرى)

براكنبرى : لم تبدوا اليوم يا صاحب العظمة ، مكتتب النفس كل هذا الاكتئاب ؟

كلارنس : آه ! لقد قضيت ليلة نكراء
ملينة بالمشاهد المخيفة والأحلام والمروعة ؛
حتى لقد وددت ، وأنا المسيحي التقى ،
ألا أقضى ليلة مثلها ،
ولو اشتريت بها دنيا من الأيام السعيدة .

ما كان أهولها من ليلة مفزعة !
براكنبرى : ماذا رأيت ، يا صاحب العظمة ، في حلمك ؟
: أرجو أن تقصه على .

كلارنس : خيل إلى أنى قد هربت من البرج
وركبت سمنية لأعبر إلى برجندى ،

وكان بصحبتى أخى جلوستر ،
فأغراني أن أخرج من غرفى وأسير على ظهر السفينة ؛
وهنا اتجهنا بأبصارنا إلى إنجلترا ،
ورحنا نتذكر آلافا من اللحظات المروعة التى مرت
بنا أثناء الحرب بين بيتى يورك ولانكستر .

١٥

وبينما كنا نسير على ظهر السفينة المترنح
خيل إلى أن جلوستر قد عثر فدفعنى فى سقطته
وأنا أحاول أن أقيله من عثرته —

بعيدا عن السفينة إلى أمواج البحر الصاخبة .

رباه ، رباه ! ما أقطع أن يموت المرء غريقاً !

٢٠

وكم كان صوت الماء فى أذنى مخيفاً !

وكم رأت عينائى من مشاهد الموت المنكرة !

لقد خيل إلى أنى أنظر إلى حطام ألف سفينة

تروع النظر ؛

ولمى ألف رحل تنهش الأسماك لحومهم ؛

ورأيت قضباً من الذهب ، ومراسى ضخمة ،

٢٥

وأكواما من اللؤلؤ ،

وأحجاراً كريمة ، وجواهر لا تقدر بثمن ،

كلها قد انتشرت فى قاع البحر :

- وقد استقر بعضها في جماجم الموتى .
- وإلى تلك الحضر التي كانت من قبل مقرا للعيون ،
 زحفت جواهر متألفة كأنما تسخر من تلك العيون ،
 وتتطلع كالخب الوطان إلى قاع البحر اللزج ،
 وتهزأ بعظام الموتى المبعثرة من حولها .
- ٣٠ براكنبري : أو كان لديك متسع من الوقت ساعة الموت
 لتنعم النظر إلى خفايا البحر ؟
- ٣٥ كلارنس : لقد خيل إلى ذلك . وكم حاولت
 أن ألفظ الروح ، ولكن العباب الحقود ،
 كان يبقياها ، ويمنعها من الانطلاق ،
 لتلتمس الهواء الخالي ، المنفسح ، الهائم ؛
 وكان يخنقها في صدرى اللاهث
- ٤٠ براكنبري : ألم يوقظك هذا العذاب الأليم ؟
 كلارنس : أوه! كلا . فقد طال حلمي بعد أن غادرت الحياة :
 وخيل إلى أن العاصفة بدأت تحتاج روحى ،
 التي دفعها ذلك التيار الكثيب ،
 لتعبر مع أولئك الملاحين ، ذوى الوجوه العابسة ،
 إلى دولة الظلام الأبدى ، التي يصفها الشعراء .
- ٤٥

١ ف

٦٨

وكان أول من لقي روحى الغريب هناك
هو جمبى العظيم وريث الشهير
وعندها صاح : « أى قصاص ذلك
الذى ادخرته دولة الظلام هذه لكلاونس الخائن »
جزاء خيانتته ؟

• •

ثم اختفى ، وعندئذ طاف بى
خيال كالمملك أشقر الشعر
ملطخ بالدماء ، وصاح فى صوت حاد :
« لقد جاء كلاونس ، كلاونس المخادع ،
المتقلب ، الحادث ،
ذلك الذى طعننى فى المعركة بالقرب من "توكسبرى"
خذيته أى آلهة الانتقام ، وأذيقه العذاب ! »
ونخيل إلى بعد قوله أن طلائفة من الأبالسة الخبيثة
قد أحاطت بى ، وأخذت تعوى فى أذنى بصيحات
بغیضة هزتنى كل صيحة منها حتى صحت ،
ولبث بعدها وقتا طويلا

٦٠

أعتقد أنى لا زلت فى الجحيم ؛
هكذا كان أثر ذلك الحلم المفرع !
: لا عجب ، يا سيدى اللورد ، إن كان قد أفرعك
براكنبرى

٤٢

٦٥ كلارنس

٦٩

فإني أظن أني أفزع لسامعك وأنت تقصه على .
: أي براكنبري — لقد أتيت هذه الفعال

التي تدين الآن روعي

من أجل إدورد ؛ فانظر كيف يجزييني !
رباه ، إن لم تستطع صلواتي الحارة أن تمحو غضبك ،
وإن كنت قد شئت أن تقتص مني لما اقترفت من آثام ،
فأنزل غضبك عليّ وحدي وابق على زوجي البريئة
وأطفا لي المساكين ! —

٧٠

أيها الحارس الرحيم ، سألتك أن تبقى معي ؛
إن روعي مثقلة ؛ وأشتهي أن أنام .
: سأفعل ياسيدي اللورد : وهب الله عظمتك راحة طيبة !

براكنبري

(ينام كلارنس)

إنهم يقلب الأوقات ويقضّ ساعات الراحة ،
ويحيل الليل صباحا ، والظهيرة ليلا .

٧٥

وليس يملك الأمراء من مجد إلا ألقابهم ؛
وليس لهم لقاء ما يجدون في نفوسهم من شقاء ؛
إلا مظاهر الشرف . وهم في سعيهم
وراء السعادة ، التي لا ينعمون بها ،
لا يلقون ، في كثير من الأحوال ، إلا حشداً

١٥

٧٠

من الموم المضنية :

٨٠

فهم بالقابهم لا يفترون عن العامة ،
إلا بما لهم من مظاهر المجد . (يدخل القاتلان)
عجبا ! من هناك ؟

القاتل الأول

من أنت يا لله . وكيف جئت إلى هنا ؟

براكنبري

أريد أن أتحدث إلى كلارنس ،

٨٥ القاتل الأول

وقد جئت إلى هنا على قدمي !

أوتحدث بكل هذا الإيجاز ؟

براكنبري

خير للمرء ياسيدي أن يكون موجزا من أن يكون مملا .
أره إذننا ، ولا تتكلم بأكثر من هذا .

القاتل الثاني

(يقرأه براكنبري)

إن هذا الإذن يأمرني ،

٩٠ براكنبري

أن أسلم إليكم دوق كلارنس ،

ولن أناقش غاية هذا الأمر

لأنني لا أحب أن تكون لي يد فيه .

هاكما المفاتيح ، وها هوذا الدوق نائم هناك .

أأنا فسأذهب إلى الملك ،

٩٥

فأنبئه بأنني أسلمت سجينتي إليكما .

من الحكمة أن تفعل يا سيدي ،

القاتل الأول

ومع السلامة . (يخرج براكنبرى)

القاتل الثانى : ماذا ! أأطعنه وهو نائم ؟

١٠٠ القاتل الأول : لا — فإنه سيرميننا حيثنشد بالجبين حين يصحو .

القاتل الثانى : حين يصحو ! إنه لن يصحو

إلا يوم الحساب .

القاتل الأول : ويحك سيقول يوم الحساب إننا طعناه وهو نائم .

١٠٥ القاتل الثانى : إن كلمة « الحساب » قد أثارت فى نفسى شيئاً

من تأنيب الضمير .

القاتل الأول : ماذا ! أتخاف ؟

القاتل الثانى : لست أخاف قتله ومعى إذن به .

ولكنى أخاف أن أذهب إلى الجحيم من أجله ،
وهناك لن يحمينى منها أى إذن .

١١٠ القاتل الأول : حسبتك قوى العزم !

القاتل الثانى : نعم ، لى لقوى العزم إن أبقيت على حياته .

القاتل الأول : إذن أعود إلى دوق جلوستر

وأقول هذا له .

القاتل الثانى : سألتك أن تنتظر لحظة :

١١٥ فإنى لآمل أن تذهب عنى هذه التزوة الحارة .

١٠

لقد اعتدت ألا يسيطر على هذا الشعور
إلا بمقدار ما أعد إلى عشرين .

: كيف تجدك الآن ؟

: عجباً ! ما زلت أحس في نفسي

ببعض بقايا الضمير

: تذكر مكافأتنا بعد أن نفرغ من مهمتنا .

: لموتن والله ! لقد نسيت المكافأة .

: وأين ضميرك الآن ؟

: عجباً ، إنه في كيس دوق جلوستر !

: إذن فسيطير حين يفتح الدوق كيسه

ليعطينا المكافأة .

: لا ضمير ، دعه يذهب ،

فلن يأبه له إلا القليلون

بل وقل إنه لن يأبه له أحد .

: وكيف إذا عاودك مرة أخرى ؟

: لن يكون لي به شأن .

فهو يحيل المرء إلى مخلوق جبان .

إن أراد أن يسرق أنتبه . وإن أراد أن يسب منعه ،

وإن أراد أن يأثم مع زوج جاره فضمحه .

٧٢

القاتل الأول

القاتل الثاني

١٢٠

القاتل الأول

القاتل الثاني

القاتل الأول

القاتل الثاني

القاتل الأول ١٢٥

القاتل الثاني

القاتل الأول ١٣٠

القاتل الثاني

٧٣

٤٣

إنه روح حي خجول

١٣٥

يتمرد في صدر المرء ويزحم طريقه بالعقبات .
لقبده جعلني مرة أرد كيساً من الذهب
عثرت عليه مصادفة . إنه يفكر كل من يراه .
إن أهل المدن والبلدان يطردونه ويعذبونه شيئاً خطيراً ،
وكل من يطعم في أن يحيا حياة رغدة
يحاول دائماً أن يعيش من دونه ،
ولا يستمع إلا إلى صوت هواه وحده .

١٤٠

القاتل الأول : إنه في هذه اللحظة بجاني يحاول أن يثنيني عن
قتل الدوق .

القاتل الثاني : فكر في الشيطان ولا تصدقه .

١٤٥ فإنه يتقرب إليك ثم يورثك الندم .

القاتل الأول : إني رجل قوى ،

وأؤكد لك أنه لن يستطيع أن يغلبني .

القاتل الثاني : هذا حديث رجل شجاع

حريص على سمعته .

١٥٠ هيا بنا . هلا فرغنا لذلك العمل ؟

القاتل الأول : اضربه على رأسه بمقبض سيفك ،

ثم ألق به في برميل النبيذ

في الغرفة المجاورة .

: لنعم الرأي ! ولننقعه ليصبح « نبيذ النبيذ »

: رفقا ! فإنه يستيقظ !

: فلنضرب !

: كلا فلنتداول معه أولا .

: أين أنت أيها الحارس ؟

: أعطني كأساً من النبيذ .

: ستشرب بعد لحظة قصيرة كفايتك من النبيذ .

يا سيدي الاورد

: من أنت بالله ؟

: رجل مثلك .

: ولكنك لست مثلي من دم ملكي خالص .

: وكذلك لست أنت مثلنا ؛ غاية في الإخلاص .

: إن صوتك كالرعد وإن كنت وضعياً في هيبتك .

: إن صوتي الآن هو صوت الملك . أما هيبتى

: فهي هيبتى أنا .

: يا لحديثك إنه ليشيع فيه الموت والظلام !

: إن عينيك تنوعدانى . لم تبدو هكذا شاحبا ؟

: ومن أرسلك إلى هنا ؟ ولم جئت ؟

/ القاتل الثاني

١٥٥ القاتل الأول

القاتل الثاني

القاتل الأول

كلارنس

١٦٠ القاتل الثاني

كلارنس

القاتل الثاني

كلارنس

القاتل الثاني

١٦٥ كلارنس

القاتل الثاني

كلارنس

- ١٧٠ الاثنان : لكى - لكى . . .
 كلارنس : لكى تقتلانى ؟
 الاثنان : أجل - أجل .
 كلارنس : إنكما لم تجدوا فى قلبكما الشجاعة لتخبرانى
 إلا بشق الأنفس .

وهكذا لن تجدوا الشجاعة لتقتلانى .

١٧٥ بم أسأت إليكما أيها الصديقان ؟

- القاتل الأول : لم تسمى إلينا ، بل إلى الملك .
 كلارنس : سيصلح الأمر بينى وبينه ثانية .
 القاتل الثانى : أبداً يا سيدى فتهياً للموت
 كلارنس : أو قد انتخبتهما من بين الرجال جميعاً
 لتقتلا الأبرياء ؟ ماذا جنيت ؟

وأين الدليل على جنايتى ؟

ومن هم أولئك المخلفون الذين أعلنوا قرارهم
 إلى القاضى العبوس ؟

أو من هو ذلكم الذى أصدر هذا الحكم المريع
 بموت كلارنس المسكين ؟

١٨٥

إن تهديدكم إياى بالموت قبل أن يديننى القانون
 أمر لا يبيحه القانون أبداً . لذلك أطلب إليكما

١ ف

٧٦

بحق دم المسيح الغالى الذى أريق فى سبيل
خطايانا الجسيمة ، إن كننا تطمعان فى مغفرة الله
أن تذهبا ولا تمدا إلى يدا بشر !
فإن العمل الذى تكفلنا به ملعون من الله .

١٩٠

القاتل الأول : إنا سنفعله لأننا أمرنا به .
القاتل الثانى : والذى أمرنا هو ملكنا .
كلارنس : أيها الرجالان الحقيران الخاطئان ! إن ملك الملوك الأكبر

١٩٥

قد أمر ، فى لوح شريعته ،
ألا ترتكبا جريمة القتل .
أتريدان إذن أن تزدريا أمره وتطيعا أمر إنسان ؟
حذار فإن الانتقام فى يديه
يصبه على رؤوس من يخالفون شريعته .

٢٠٠ القاتل الثانى : وسيصب عليك هذا الانتقام نفسه
لحنتك بعهدك ولما اقترفت أنت من جرائم قتل كذلك .
لقد أقسمت قسما مقدسا

أن تقاتل فى سبيل بيت « لانكستر »

القاتل الأول : وقد حننت بقسمك ونحت أمانة الله ،

ومزقت بسيفك الخائن

٢٠٥

أحشاء ابن ملكك .

- القاتل الثاني : الذى أقسمت أن تحبه وتحميه .
- القاتل الأول : فكيف تتوعدنا بشريعة الله الصارمة :
- وقد عصيتها على هذا النحو الأثيم ؟
- ٢١٠ كلارنس : واحسرتا ! فى سبيل من اقترفت ذلك الإثم ؟
- فى سبيل إدورد أخى ومن أجله هو .
- فكيف يمكن أيها السيدان أن يكون قد أرسلكما لقتلى ؟
- ونصيبه فى ذلك الإثم لا يقل عن نصيبى ؟
- ألا فاعلما أن الله ، إن كان سينتقم لتلك الفعل .
- فهو سينتقم جهراً .
- ٢١٥
- فدعا الأمر فى يده الخبارة ،
- فليس به من حاجة إلى تلك الطرق الملتوية ،
- أو تلك السبل غير المشروعة ،
- ليقضى على من أثار غضبه .
- ٢٢٠ القاتل الأول : فمن أباح لك إذن أن تكون رسول الموت .
- حين أصيب بطعنك القاتلة « بلاننا جنت » ،
- ذلك الأمير الصغير الشجاع والفارس الفنى فى
- جماله المتفتح ؟
- كلارنس : حبى لأخى ، والشيطان ، وسورة الغضب .
- القاتل الأول : وكذلك جاء بنا لنقتلك

١ ف

٧٨

حبنا لأخيك وواجبنا ، وخطيتك .

٢٢٥

: إن كنتم تحبان أخي فما ينبغي لكما أن تبغضاني :

كلارنس

فإني أخوه الذي يخلص له الحب إخلاصا .

وإن كنتم قد استؤجرتما بمال فارجعا ،

وسأرسل إلى أخي جلوستر ليجزيكما عن حياتي

٢٣٠

خيرا مما كان سيجزيكما إدورد عن موتى .

: أنت مخدوع ، فإن أخاك جلوستر يضمرك الكره .

القاتل الثاني

: آه ! كلا - إنه يحبني ويخلص لي الود .

كلارنس

أذهبا من عندي إليه .

: كذلك سنفعل .

القاتلان

: وقولا له إن أبانا الأمير يورك

كلارنس

حين بارك أبناءه الثلاثة بيده الظافرة ،

٢٣٥

وسألنا ، من أعماق قلبه أن يحب بعضنا بعضا ،

لم يدر بخلده أن سيكون بيننا هذا الخلاف والحفاء .

ذكرنا جلوستر بهذا فسيلدرف الدمع .

: بل سيلدرف « الصخر » كما أمرنا أن نذرته بدل الدمع .

القاتل الأول

: آه ، لا نتحدثا بسوء عنه فإنه عطوف رحيم .

٢٤٠ كلارنس

: رحيم كرحمة الثلج إذ يسقط أيام الحصاد .

القاتل الأول

دع ما أنت فيه ؛ فإنك تخدع نفسك .

ذلك هو الذى أرسلنا إلى هنا لنقتلك .

كلارنس : مستحيل ! لقد أخذنى بين ذراعيه ساعة افترقنا

وأقسم وهو ينتحب

٢٤٥

أن يبذل كل جهد ليخلصنى .

القاتل الثانى : أجل — فهذا هو ما يفعله حين يخلصك

من رق الحياة فتنتقل إلى سعادة السماء .

القاتل الأول : صل لربك فإنك لا محالة ميت ، يا سيدى اللورد .

٢٥٠ كلارنس : أتشعران هكذا بالثقوى

وتنصحانى بأن أصلى لربى .

ثم تغفلان عن نفسيكما

وتنسيان أنكما تخاصمان الله بقتلكما إياى ؟

أيها السيدان تدبرا أمركما

٢٥٥ فإن من أمركما باقتراف هذه الفعلة سيبخسكما من أجلها .

القاتل الثانى : وماذا نفعل ؟

كلارنس : كونا رحيمين تستنقذا نفسيكما من الضلال .

القاتل الأول : نرحم ! كلا ، إن هذا شأن الجبناء أو النساء .

كلارنس : وألا ترحمنا شأن الوحوش والضواري والشياطين

فن منكما لو قدر له أن يكون ابن أمير ،

٢٦٠ محجوراً على حريمته ، كما هو شأنى الآن ،

ثم يأتيه قاتلان مثلكما ،
لا يتوسل استنقاذاً لحياته ؟ إني لحرى في هذه الحال
أن أتوسل ؛ كما أنكما حريان أن تتوسلا ،
لو وقعتم فيما أنا فيه من شدة .

(يخاطب القاتل الثاني)

أى صديقى ، إني ألمح في نظراتك بعض الرحمة
إن لم تكذبني عينك . فتعال إلى جانبي وتوسل من أجلي .
ألا يثير أمير في ذل السؤال ، رحمة السائلين ؟

٢٦٠

القاتل الثاني : انظر وراءك يا سيدى اللورد !

(يطلعه)

القاتل الثاني : خذ هذه وتلك (يطلعه) فإن لم تكفيا

فسأغرقك في برميل النيبذ الذى هناك .

٢٧٠

(يجر الجثمان إلى الخارج)

القاتل الثاني : يا لها من قتلة منكرة ارتكبتها بشناعة !

وددت لو غسلت يدي — مثلما فعل « بيلاطس » (١)

(١) بيلاطى (Pilate) حاكم فلسطين الرومان أيام المسيح . وقد عرف بالقسوة والظفان . وهناك أسطورة تقول إنه دفن في بحيرة من بحيرات الألب وإن الشيطان يخرج من جثائه ، مرة كل عام ، حين تحل ذكرى صلب المسيح ، فيجلسه ويغسل يديه تكفيراً عن مشاركته في ذلك العمل .

من تلك الجريمة البشعة النكراء !

(يعود القاتل الأول)

القاتل الأول : عجيبي لك ! خبرني ، كيف لم نغني ؟

والله ليعرفن الدوق بتقصيرك !

٢٧٥

القاتل الثاني : وددت لو قد عرف أني أنقذت أخاه !

خذ المكافأة أنت وانقل إليه ،

أنى نادى على قتل الدوق .

(يخرج)

القاتل الأول : أما أنا فلست كذلك — اذهب أيها الجبان !

والآن لا بد لي أن أوارى جسده في حفرة ما

٢٨٠

حتى يأمر الدوق بدفنه ؛

وسأرحل بعد أن أقبض أجري ،

فليس منذ الآن مقام في هذا البلد ، إذ لا بد

يوما أن يذيع السر .

(يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الأول

لندن . القصر

(صوت أبواق - يدخل الملك إدورد المريض محمولا على كرسى ،
ومعه الملكة إلزابيث ودورست ، وريفرز ، وهيستنجر ،
وبكنجهام ، وجرى ، وآخرون) .

الملك إدورد : أما وقد أنجزت اليوم عملا عظيما ،
فلتحافظوا ، أيها النبلاء ، على هذه العروة الوثقى ،
فإني أنتظر ، من يوم إلى آخر ، رسولا من مخلصى ،
لينقذنى من هذه الحياة .

والآن يستطيع روحى أن يصعد فى سلام إلى السماء ،
ما دمت قد أقمت السلام بين أصدقائى فى الأرض .
أى هيستنجر ، وريفرز ، فليشد كل منكما على يدا الآخر .
لا تداريا البغضاء بل أقسم مخلصين على المحبة .

ريفرز : تالله لقد برئ قلبي من كل حقد أو حسد .
وهأنذا أختم بيدي على ما بقلبي من ود صادق .

هيستنجر : وهأنذا أوثق عهدي مثله ، وفقنى الله !
الملك إدورد : حذار أن يكون ذلك عبثاً منكما أمام ملككما ،

- ولا فصح ملك الملوك المتعالى
رياءكنا الخبيء وكتب عليكما أن يهلك كلاكما صاحبه .
- ١٥ هيستنجز : ذاك عهدى على المودة الخالصة وفقنى الله !
ريفرز : وكذلك فليوفقنى ما أقمت على محبة هيستنجز !
الملك إدورد : مولاتى ، لست أستثنيك من هذا ،
ولا ابنك دورست ، ولا أستثنيك يا بكنجهام .
٢٠ لقد كنتم شيعاً متخاصمين .
أى زوحى ، اخلصى الود للورد هيستنجز ودعيه يقبل يدك ،
ولیکن ذلك منك دون خديعة .
الملكة الزابث : إليك هيستنجز ، وإن أذكر أبدأ بعد اليوم بغضاءنا السابقة ؛
كتب الله لى ولقوى التوفيق !
٢٥ الملك إدورد : دورست ، عانقه . أى هيستنجز ، اخلص الود للمركيز .
دورست : أقسم أنى أنا لن أخون
هذا الود المشترك
هيستنجز : وكذلك أقسم يا سيدى اللورد . (يتماثقان)
الملك إدورد : والآن أيها الأمير بكنجهام ،
٣٠ فلتؤكد ولاءك بأن تعانق شيعه زوحى ،
فتسعدنى باتحادكم .
بكنجهام (إلى الملكة) : — فليحل عقاب الله على
إن حملت لك أو لعشيرتك أى بغضاء

أو لم أبذل لك ولم أصدق الود —
 أن أغدو بغیضا إلى من هم أليق الناس بأن يحبوني .
 فإذا ما كنت في أشد الحاجة إلى معونة صديق
 أثق أكبر الثقة بصداقته
 فليجعله الله
 ما كراً مخادعاً حقودا .

٣٥

إن فتر حبي لك ولعشيرتك (يضافان)
 : إن عهدك هذا ، أيها الأمير بكنجهام ،
 قد كان مقويا منعشا لقلبي السقيم .
 وليس ينقصنا الآن ، ليكمل هذا السلام ،
 إلا أخى جلوستر .

٤٠

ها هو ذا الدوق قد جاء في اللحظة المناسبة .
 (يدخل جلوستر)

٤٥ بكنجهام

: طاب صباح مليكى ، وملكتى ،
 سعد وقتكم أيها السادة النبلاء !
 : لقد كان يوماً سعيداً حقاً ،

جلوستر

الملك إدورد

فعلنا فيه ، يا جلوستر ، كثيرا من الخير ،
 وخلقنا من الخصام صلحا ، ومن الكراهية حبا ،
 بين هؤلاء النبلاء الذين امتلأت نفوسهم بالغضب والشر .

٥٠

- جلوسه . : ذلك جهد مشكور ، أى مليكى الأجل !
- أما أنا ، فإن كان من بين هذه الجماعة من النبلاء
أو أى أحد من الحاضرين
من يرانى عدوا
لما بلغه عنى من أخبار كاذبة ، أو ظنة من ظنون مخطئة ،
أو كنت قد أسأت غير عامد أو فى سورة الغضب ؛
إساءة يحملها لى أحد هنا من الحاضرين ،
فلانى راغب إليه أن يصفح عما أتيت :
فلانى أبغض العداء بغضى للموت !
وأرغب من الأخيار جميعاً كل حب .
وأبدأ فأرجو منك الصلح يا مولائى ،
وسأشتريه بخدماتى المخلصة ،
ومنى يا ابن العم النبيل بكنجهام
إن كان بيننا شئ من الضغن ،
ومنكما أى لورد ريفرز ، ولورد جراى ،
ومنكم جميعاً ، يا من سخطوا على دون جريرة ،
من الدوق والإيرل واللورد والسيد ، منكم جميعاً .
فلست أعرف فى نفسى أدنى خصومة ،
بينى وبين أحد من أبناء هذا الوطن .

٥٥

٦٠

٦٥

٧٠

٢٠

فما في نفسي إلا براءة طفل ولد من يومه هذا ،

وأحمد الله على ما وهبني من تواضع !

الملكة الزابث : سيظل هذا اليوم على مرّ الزمن يوماً مقدساً ،

وإني لأسأل الله أن تكون كل هذه الضغائن

قد انمحت إلى غير رجعة ،

وأتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ،

أن تصفح عن أختينا كلارنس .

سيدتي ، أو بذلت لكم حي

لكي أهان على هذا النحو في حضرة الملك ؟

منذا الذي لا يعرف أن الدوق النبيل قد مات ؟

(يفزعون جميعاً)

إنك تسيئين إليه إذ تسخرين من جثمانه .

ديفرز : منذا الذي لا يعرف أنه مات ! ومنذا الذي يعرف ذلك ؟

الملكة الزابث : يا علام الغيوب ، أي عالم هذا ؟

بكنجهام : أيببدو على ما على الآخرين من شحوب ، أي

لورد دورست ؟

دورست : أجل يا سيدي ، وما من أحد هنا

إلا غاض الدم من وجنتيه .

الملك إدورد : أو مات كلارنس ؟ لقد غيرت أمري فيه .

٨٦

٧٥

جلوسر

٨٠

٨٥

- جلوسه : ولكن المسكين مات بأمرك الأول ،
الذى حمله رسول مجنح ، كمركورى ،
أما التغير فحمله كسيح كسول ،
لم يصل إلا ليشهد دفنه . ٩٠
- وقد قضى الله أن أناسا أقل نبلا وولاء ،
أقرب إلى سفك الدماء ، لا أقرب في الدم
يستحقون ما لا يقل سوءا عن مصير كلارنس ،
ومع ذلك بقوا بمنأى عن الريبة .
(يدخل دربي)
- ٩٥ دربي : مولاي ! إلى أرجو منك صنيعا لقاء خدماى .
الملك إدورد : أرجو أن تدعنى لنفسى فإن روحى يفيض بالحزن .
دربي : لن أنهض حتى تستمع إلى .
الملك : إذن فانطق في الحال بما تريد .
دربي : حياة خادى يا مولاي ،
إذ قتل اليوم رجلا شكسا ١٠٠
دخل ضمن أتباع دوق نورفوك أخيرا .
الملك إدورد : أيقضى لسانى على أخى بالموت ؛
ثم يعفو هذا اللسان نفسه عن عبد ؟
إن أخى لم يقتل أحدا . كانت جريمته مجرد فكرة ،

ومع ذلك كان الموت الزؤام عقوبته .

١٠٥

من منكم يشفع له عندى ؟
من منكم ركع عند قدمى وأنا فى سورة غضبى ،
وسألتنى أن أستمع إلى صوت العقل ؟
من منكم تحدث عن الأخوة ؟ من منكم تحدث عن الحب ؟
من منكم قال لى إن المسكين قد خذل وريك

١١٠

العظيم وحارب من أجلى ؟
من منكم ذكرنى بما حدث فى معركة « توكسبرى »
حين طرحنى أكسفورد فأنتقدنى .

وقال لى : « فلتعش أيها الأخ العزيز ولتكن ملكا ! »
من منكم ذكرنى كيف دترنى بملابسه ،

حين رقد كلانا فى ساحة المعركة ، ونحن على
وشك الهلاك من الصقيع ،

وعرض نفسه - وهو عار إلا من أيسر الكساء -

١١٥

لبرد الليل القارس ؟

لقد نزع غضبى الوحشى الآثم

كل ذلك من ذاكرتى .

ولم أجد منكم واحداً بلغ من النخوة ما يذكركم به .
أما حين يرتكب غمور ، من خدمكم أو أتباعكم ،
جريمة قتل يلطخ بها ،

١٢٠

صورة مخلصنا العزيز الغالية ؛
فإنكم تركعون في الحال طالبين العفو ، العفو !
وعلى أن أمنحكم هذا العفو ولو خالفت بذلك العدالة .
أما من أجل أخي المسكين فما يتكلم أحد .
وما كلمت نفسي أنا ، أنا ذلكم الشرير ،
من أجله ! إن أعزكم كبرياء
كان مدينا له في حياته ؛

١٢٥

ومع ذلك فما من أحد منكم تشفع له إبقاءً على حياته .
رباه ! أخشى أن تنالني عدالتك ،
بل أن تنالكم وتنال عشيرتي وعشيرتكم جزاء هذه الفعلة !
إلى يا هيستنجز وأعني على بلوغ غرقى . وأأسفاه
أي كلارنس المسكين !

٣٠

: تلك ثمرة الاندفاع . ألم تلاحظوا
كيف بدا الشعوب على أقرباء الملكة الآثمين
حين سمعوا بموت كلارنس ؟
طلما حرضوا الملك على ذلك ،
ولكن الله سيثأر له . أما الآن فهيا بنا أيها السادة
لنسرى بصحبتنا عن إدورد
: سنذهب مع فخامتكم (يتبعونه)

جلوس

١٢٥

١٤١ بكنجهام

الفصل الثاني

المنظر الثاني

(القصر)

(تدخل دوقه يورك المجوز مع طفل كلارنس)

- الصبي : أنبئني يا جدي الكريمة ، هل مات أبونا ؟
- الدوقة : لا يا ولدي
- الصبي : لماذا إذن تستسلمين للبكاء كثيرا ، وتدفقين صدرك وتصيحين : « أي كلارنس يا ولدي الشقي ! »
- ٥ الصبي : ولماذا تنظارين إلينا وتهزين رأسك ، وتنعنيننا باليتيمين المسكينين المنبوذين ، إن كان والدنا الكريم لم يمت ؟
- الدوقة : يا حفيدي الجميلين ، إنكما تسبثان فهمي ، إنني أبكي لمرض الملك
- ١٠ الذي أكره أن أفقده ، ولا أبكي لموت أبيكما : فالحزن على من ضاع حزن ضائع .
- الصبي : إذن فأنت يا جدي تقرين بأنه قد مات !

٢٢

٩١

إن عمى الملك ، هو المسئول عن موته .
وسيثار الله له ،

وسأضرع إليه كل يوم فى صلواتى أن يفعل .
: وسأضرع إليه أنا أيضا .

١٥

الصية

الدقة

: اهدأ يا طفلى ، اهدأ إن الملك يحبكما حقاً
أيها البريثان الطيبان الساذجان ، إنكما لا تستطيعان
أن تتوهما من المسئول عن موت أبيكما .

: بل نستطيع ، يا جلدتى ، فقد أخبرنى عمى العزيز ،
جلوستر ،

٢٠

الصى

أن الملك اختلق له ، بتحريض من الملكة ،
ذنوباً لكى يلتقى به فى السجن .

وقد بكى عمى حين أخبرنى بهذا ،

وأخلدنى بين ذراعيه ، وقبل خدى فى حنو ،
وسألنى أن أعتمد عليه ، وأن أعده أباً لى ،
وقال إنه سيحببنى كما لو كنت ولده .

٢٥

الدقة

: واحسرتا كيف يتخذ الخداع هذا المظهر الرحيم ،
ويستتر الحقد الدنس تحت قناع من الفضل !
أجل إنه ولدى ، وذلك هو مبعث حزنى ،
ولكنه لم يرضع هذا الخداع من ثدى .

٣٠

٢ ف

٩٢

الصبي : أتظنين يا جلدتي أن ذلك كان خداعاً من عمي ؟

الدوقة : نعم يا ولدي

الصبي : لا أستطيع أن أصدق . اسمعي ! ما هذا الصوت ؟

(تدخل الملكة وشعرها مرسل إلى أذنيها وخلفها ويفرز ودورست)

الملكة : أواه ! منذ الذي يستطيع الآن أن يقفني عن البكاء

والعويل وعن أن أنذب حظي وأسوم نفسي العذاب ؟ ٣٥

سأجعل اليأس القاتل حليفي بما فيه من هلاك روعي ،
وأناصب نفسي العدا .

الدوقة : ما سر هذا المنظر الجزع الصارخ ؟

الملكة لزابت : أريد أن آتي أمرا فظيلا .

لقد مات مولاي إدورد ملكنا وزوجي وولدك . ٤٠

كيف تنمو الأغصان بعد أن ذوت الجذور ؟

وكيف لا تذبل الأوراق وقد جفها ماء الحياة ؟

إن تعش تقض العمر في البكاء : أو تمت ،

فليسرع إليها الموت

لتلحق بالملك أرواحنا الخفاقة الأجنية .

أو فلنتبعه كالرعايا المخلصين ٤٥

إلى الليل الأبدى . مملكته الجديدة .

الدوقة : أواه ! إن لي في حزنك نصيباً كبيراً

بقدر ما كان لى فى زوجك الجليل من نصيب .

لقد بكيت من قبل موت زوج كريم ،

ثم عشت بالنظر إليه فى وجوه أبنائه :

والآن قد حطم الموت الحقوق

مرأتين كانتا تعكسان صورته النبيلة ،

ولم يبق لسلوى إلا مرآة واحدة خادعة ،

أنظر فيها بأسى إلى ما أنجبت من عار .

إنك أرملة ، ولكنك مع ذلك أم

وما زال لك فى أولادك عزاء .

أما أنا فقد اختطف الموت زوجى من ذراعى ،

وانتزع من يدى الواهنتين عمادين كلارنس ولادورد .

أواه— إنى لأجدر ، إذ كان مصابك أقل من مصابى ،

بأن أجأر بالعويل أكثر منك ،

وبان يغطى نواحى على نواحك .

إيه يا عمى ! إنك لم تبك لموت أبينا ،

فكيف نستطيع أن نواسيك بدموع الأقارب المماثلة .

: إنك لم تحزنى لتيتمنا بموت أبينا ،

وكذلك لن نبكى لآلامك إذا أصبحت أرملة !

الملكة الزابت : لا تساعدانى بالنواح ،

٥٥

٥٥

٦٠

الصبية

٦٥

فلست عقيماً لا أستطيع أن أنخلق أسبابه .
فلتصب كل ينباع مياهها في عيني ،
وليمدني القمر ، المائي ، بمدد من عنده ،
حتى أغرق بالدموع العالم بأسره .

٧٠

واحسرتاه على زوجي — على إدورد مولاي العزيز .
: والعبيان واحسرتاه على أبينا — على عزيزنا ، لورد كلارنس .
: والدوقة واحسرتاه على كليهما — كلاهما ولدي ، إدورد وكلارنس !

الملكة إلزابث : أي نصير كان لي غير إدورد ؟ وما هو ذا قد مات .
٧١ الصبيان : أي نصير كان لنا غير كلارنس — وما هو ذا قد مات .
الدوقة : أي نصير كان لي غيرهما وما هما ذان قد ماتا . .

الملكة إلزابث : هل أصيبت أرملة بمثل مصابي الجلل ؟
العبيان : هل أصيب أيتام بمثل مصابنا الجلل ؟
الدوقة : وهل أصيبت أم بمثل مصابي الجلل ؟

واحسرتاه ، إني أم لأحزان هؤلاء الناديين جميعاً .
٨٠ إن لكل منهم أحزانه الخاصة أما أنا فأحس كل أحزانهم .
إنها تبكي لإدورد وكذلك أبكي ،

وأبكي أنا لكلارنس أما هي فلا تبكي ،
ويبكي طفلاً كلارنس هذان ، وكذلك أبكي ،
وأبكي أنا لإدورد أما هما فلا يبكيان .

٨١

واحسرتاه ، فليصب ثلاثكم دموعكم على
فأني حاضنة أساكم ،
وبنواحي سأهدهده .

دورست (إلى الملكة إلزابث) : خفنى عنك يا أماه ! فإن الله يسوءه
كثيراً أن تستقبلي قضاءه بمثل هذا الجحود .
إن لمن الجحود في أمور الحياة الدنيا اليومية ،
أن يجد المرء غضاضة في أن يؤدي ماعليه من دين ،
أعارته إياه يد كريمة حانية .

٩٠

فما بالك بنكران دين الله

حين يطلب الدين الملكي الذي أعارك إياه .

٩٥

ريفرز : مولاني ، فكرى — كما ينبغى أن تفكر الأم الحازمة —
في ولدك الأمير الصغير . أرسلني في الحال إليه
ليلبس التاج ، ففيه يكون عزائك .
ولتدفني في قبر إدورد أساك اليانس .

ولتزرعي سعادتك في عرشه الباقي .

١٠٠

(يدخل جلوسر وبكنجهام ودربي ويستنجز وراتكلف)

: عزاء أختاه . إن علينا جميعاً أن نبكى

جلوسر

أقول نجمنا المتألق ،

ولكن المصائب لا تشقى بالبكاء .

أى أمى ، معذرة فإنى لم أرك .

(يركع)

١٠٥

إنى أركع فى خضوع وأضرع لىلك
أن تبارككنى

الدقة : فليباركك الله ، وليلق فى نفسك الرحمة والمحبة
والإحسان والطاعة والشعور الصادق بالواجب .

جلوسر : آمين ! (بينه وبين نفسه) وليكتب الله لى عمرأمديداً صالحاً .
١١٠ تلك خاتمة دعوة الأم ، فليت شعرى لماذا أغفلتها جلالاتها ؟

بكنجهام : أيها الأمراء الذين غام عليهم الحزن ،
أيها النبلاء الذين استبد بقلوبهم الأسى ،
أنتم يا من تحملون جميعاً عبء ذلك المصاب المشترك ،
لنمنح كل منكم العزاء لأخيه بما يبذل له من حب .
١١٥ فلئن كنا قد أنفقنا حصاد هذا الملك

فلنجنين حصاد ولده .

إن قلوبكم التى صدعها الحقد والمرارة
قد جُبرت والتأم شملها منذ أمد قصير .

فلتترفقوا بها حتى تظل مصونة مجبورة الصدع عزيزة ؛
ومن الخير فيما أرى أن نرسل الآن حاشية قليلة
العدد إلى « لدلو » (١)

١٢٠

لتحضر الأمير الصغير إلى لندن
كى يتوج ملكا علينا .

١٢٥ بكنجهام : حتى لا تنكأ جراح الحقد التى لم تكد تلتئم ؛
إذا نحن أحضرناه فى حشد كبير يا سيدى اللورد .
وذلك شئ ونخيم العاقبة والأمور لم تستقر بعد
فى يد تتولى مقاليدها ؛

فكل جواد يمضى ، مرئى العنان ، على هواه ،
وكل يؤمل ما يشئى .

١٣٠ وفى رأى أنه ينبغى أن ندفع ما نتوقع من شر ،
كما ندفع شرا قائما بالفعل .

جلوتر : أرجو أن يكون الملك قد أصلح ما بيننا جميعا .
إنى لا زلت ثابتا على ما أعطيت ، من عهد .

ريفرز : وكذلك أنا ، وكذلك الآخرون فيما أعتقد ؛

على أن ذلك العهد لا يزال غضبا ، ١٣٥

لا ينبغى أن يُعرض لما يمكن أن يُثير

ذهابنا فى جماعة كبيرة من خطر ؛

لهذا أوافق النبيل بكنجهام

على أنه من الخير أن يُحضر الأمير نفر قليل

١٤٠ هـ يستنجز :

وهذا هو رأيي أنا أيضا .

جلوستر

: فليكن ذلك ، ولنمض الآن

لنر من سيذهبون من فوردم إلى « لدلو » .
سيدتي ، وأنت يا أمي ، هل لكما أن تذهبا
لتبديا رأيا في هذا الأمر .

١٤٥ الملكة الزابث :

{ من كل قلبي

والدوقة

(يخرج الجميع ما عدا بكنجهام وجلوستر)

بكنجهام

: مهما يكن من أمرالذاهبين إلى الأمير، ياسيدى اللورد،
فلإني بحق الله أرجو ألا نقعد عن الذهاب معهم ؛
وبطريقة ما سأدبر الأمر كي نبعد أقارب الملكة
الأقوياء عن الأمير ،

١٥٠

تمهيدا لما اتفقنا عليه أخيرا .

جلوستر

: أى صنو نفسى . وناصحى الأمين ،

أى كاهنى ونبيئى ! يابن عمى العزيز !

سأعمل كالطفل بتوجيهك ،

فهام إذن إلى « لدلو » ، فلن نقعد عن الذهاب معهم

(يخرجان)

الفصل الثاني

المنظر الثالث

لندن - شارع

(يدخل مواطنان ويلتقيان)

المواطن الأول : مرحباً أيها الجار ، إلى أين تمشي بهذه السرعة ؟

المواطن الثاني : أؤكد لك أنني أنا نفسي لا أكاد أعرف !

هل سمعت ما ذاع من نبأ ؟

المواطن الأول : أجل إن الملك قد مات .

المواطن الثاني : إنه لنبأ سيء وحق العذراء ، وإن الخبر الطيب

لشيء نادر ؛

وإني لأخشى ، وأخشى أن نكون مقدمين على

فترة قلاقل .

٥

(يدخل مواطن ثالث)

المواطن الثالث : أي جاريّ - هيا الله لكما الخير !

المواطن الأول : وحل صباحك طيباً ، يا سيدي .

المواطن الثالث : أو صح النبأ عن موت الملك إدورد ؟

المواطن الثاني : أجل يا سيدي ، إنه صحيح. كان الله في عوننا الآن .

المواطن الثالث : إذن فتوقعا أيها السيدان فترة قلاقل .

المواطن الأول : لا - لا ، فسيحكم ابنه بفضل الله . ١٠

- المواطن الثالث : الويل للدولة يحكمها طفل !
- المواطن الثاني : إن لنا أملاً في حكم صالح على يديه .
- فلا شك أن القيمين عليه
سيحسنون الحكم إلى أن يبلغ الرشد ؛
وسيحسنه هو حين يبلغ تلك السن . ١٥
- المواطن الأول : هكذا كانت حال الدولة
- حين توج هنري السادس بباريس وسنه تسعة أشهر .
- المواطن الثالث : أهكذا كانت حال الدولة ؟ لا ، لا يا صديقي الكريمين ،
علم الله ! كانت هذه البلاد
- معروفة حينئذ بما فيها من ساسة أجلاء كثيرين ، ٢٠
- وكان للملك أعمام خيرون يحمونه .
- المواطن الأول : عجباً وكذلك لهذا الملك أعمام وأخوال .
- المواطن الثالث : كان خيراً لو كانوا جميعاً أعماما
أو لو لم يكن له أعمام قط ،
- فإن التنافس على التقرب إليه الذي يحيق بنا الآن ٢٥
- سيدنى منا جميعاً المصائب إن لم يحمنا الله منها .
- ألا ما أخطر الدوق جلوستر !
- ثم إن أبناء الملكة وإخوتها صلفون متكبرون .
- ليتهم حُكموا بدل أن يكونوا هم الحاكمين ،
- إذن لسعدت هذه البلاد المذكوبة كما كانت من قبل . ٣٠

١٠١

٣٢

المواطن الأول : مهلا . مهلا ، إننا نتوقع أسوأ ما يمكن أن يكون ،
وسينتهى كل شيء إلى خير .

المواطن الثالث : حين تلوح السحب يلبس الحصفاء معافهم ،
و حين تسقط الأوراق القوية فإن ذلك نذيرا بالشتاء .
و حين تغرب الشمس فنذا الذي لا يرتقب الليل ؟
إن الناس يتوقعون القحط بعد العواصف المفاجئة .
وقد ينتهى كل شيء إلى خير .
على أنه إذا أراد الله ذلك ، فسيكون أكثر مما نستحق ،
ومما أتوقع .

٣٥

المواطن الثاني : حقا إن الخوف يملأ نفوس الناس ،
حتى أنك لا تكاد تتحدث إلى إنسان
لا يثقله الهم والخوف .

٤٠

المواطن الثالث : هكذا تكون الحال دائما قبل كل تغير كبير ،
فللناس غريزة ملهمة تدفع عقولهم
إلى توقع المقبل من الأخطار ،
كما نشاهد ثورة الأمواج قبل هبوب عاصفة هوجاء .
ولكن ، لنندع الأمر كله لله . إلى أين ؟

٤٥

المواطن الثاني : لقد طابنا إلى المحكمة
المواطن الثالث : وكذلك طلبت أنا — سأصحبكما

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن. القصر

(يدخل رئيس أساقفة يورك ، ودوق يورك الصغير ، والملكة إليزابث ، ودوقة يورك)

- رئيس الأساقفة : سمعت أنهم باتوا البارحة عند نورثامبتون^(١)
ولاشك أنهم يبيتون الليلة فى « ستونى ستراتفورد »^(٢)
وسيصطلون إلى هنا غدا أو بعد غد .
- الدوقة : إن قلبى يفيض شوقا لرؤية الأمير .
عساه أن يكون قد شب منذ رأيتة آخر مرة .
- الملكة إليزابث : ولكنى سمعت أنه لم يكبر ،
ويقولون إن ولدى يورك قد أوشك أن يكون فى مثل طوله .
- يورك : نعم يا أمى ، وإن كان ذلك لا يسرنى .
- الدوقة : ولم لا يا حفيدى الصغير ؟ أن من الخير أن ينمو المرء
- ١٠ يورك : ذات مساء يا جدتى وقد جلسنا للعشاء ،
تحدث خالى ريفرز عن نموى بأسرع مما نما أخى .

(١) نورثامبتون Northampton

(٢) ستونى ستراتفوب Stony-Stratford

٤٢

١٠٣

فقال عمى جلوستر : « نعم ، إن الأعشاب المفيدة تكون صغيرة رقيقة

أما الحشائش الحبيثة فتتنامو بسرعة فائقة »
ومنذ ذلك الحين وأنا لا أشهى أن أنمو بهذه السرعة
لأن الأزهار الجميلة بطيئة النمو ، على حين تربو
الحشائش على عجل .

١٥

الدوقة

: تالله إن المثل لم يصدق

على من لم يرضَ عن نموك السريع .
فقد كان أضال ما يكون وهو صغير .
وقد أبطأ في النمو وعلى مهل ،
ولو صحت القاعدة لكان رقيقاً .

٢٠

رئيس الأساقفة : ولا ريب أنه لكذلك ، يا مولاي الكريمة .
الدوقة : أرجو أن يكون كذلك ، ولكن من حق الأمهات
أن يجدن بعض الريب .

يورك

: وأيم الحق لو فطنت إلى ذلك ،
لسخرت من نمو عمى الدوق
بأشد مما سخر من نموى .

٢٥

الدوقة

: وكيف يا يوركي العزيز ؟ بالله أسمعنى .
يورك : يقولون إن عمى كان سريع النماء

حتى لقد كان يستطيع أن ينفذ أسنانه في كسرة
جافة بعد ساعتين من مولده،
أما أنا فلم تنم لي سن واحدة قبل أن أبلغ من العمر
عامين كاملين،
وقد كان ذلك حريا بأن يكون سخرية لاذعة
يا جدتي الدوقة .

٣٠

- الدوقة : قل لي من أنبأك بهذا يا يوركي العزيز ؟
يورك : حاضنته يا جدتي .
الدوقة : حاضنته ! كيف ؟ لقد ماتت قبل أن تولد
يورك : إن لم تكن هي فلا أستطيع أن أقول من أنبأني^(١)
٣٥ الملكة إلزابث : يا لك من ولد ثرثار ! اذهب فإنك في غاية المكر .
رئيس الأساقفة : مولاتي الجليلة لا تغضبني على الطفل .
الملكة إلزابث : إن للأباريق آذانا (يدخل رسول)
رئيس الأساقفة : ها قد أقبل رسول — ما وراءك من أنباء ؟
الرسول : أنباء يحزنني أن أقولها يا مولاي .
٤٠ الملكة إلزابث : كيف حال الأمير ؟
الرسول : بخير وعافية يا مولاتي .
الدوقة : فما أنباؤك تلك إذن ؟

(١) إشارة إلى أن أمه هي التي أنبأته .

الرسول : لقد حُمل اللورد ريفرز واللورد جراى إلى «يومفرت»^(١)
 هما وسير توماس فوجان ، حيث ألقى بهم في السجن .

الدوقة : ومن أمر بهذا ؟

الرسول : الدوقان العظيمان جلوستر وبكنجهام .

رئيس الأساقفة : بأى ذنب ؟

الرسول ه ه : لقد ذكرت كل ما أعرف .

ولست أدري لم سجن هؤلاء النبلاء ،

ولا بأى ذنب يا سيدى الكريم .

الملكة إلزابث : لهف نفسى ، أنى لألح خراب أسرتنا ؛

فلقد أمسك النمر بالطيى الوديع ،

وبدأ الطغيان الصلف يمد سلطانه

على العرش البرىء الضعيف .

مرحبا أيها الدمار ، أيها الدماء ، أيها المذابح !

إنى لأرى نهاية كل شىء كما لو كنت أراها فى

رسم مخطوط .

ه ه الدوقة : أيها الأيام اللعينة المليئة بالشحناء الصاخبة ،

كم قد رأت عينائى منك !

لقد فقد زوجى حياته فى سبيل التاج ،

وتقلبت الأحوال كثيرا بأبنائي بين خير وشر ، وتقلبت
أنا كذلك بين السعادة بنصرهم ، والبكاء لخسارتهم ؛
فلما استقر لهم الأمر وقضوا على الخلافات الداخلية
إذاهم يحارب بعضهم بعضا . فالأخ عدو أخيه
والدم عدو الدم والنفس عدو النفس !
إليه آيتها الأهواء المضطربة المجنونة .
أنهى حمدك اللعين !

٦٠

أو أنزلى الموت حتى لا تقع عيناي على الموت من بعد !
: تعال - تعال يا ولدي ، فسنلجأ للاحتماء بحرمة الكنيسة .
إلى اللقاء يا سيدتي

٦٥

الدوقة : مهلا ، فسأذهب معكما .
الملكة إلزابيث : ليس ثمة ما يدعوك إلى هذا .
رئيس الأساقفة : اذهبي يا مولاتي الكريمة واحملي معك ذخائرك وأموالك .
٧٠ : وسأسلم إليك الخاتم^(١) الذي أحفظ به .

وليكافئني الله بقدر ما أرفعك وأرعى ذوى قرباك .
هلموا ، فسأمضي بكم إلى حرمة الكنيسة .
(يخرجون)

(١) خاتم الدولة الذي كان يحفظه لأنه كبير القضاة .

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن . شارع

(تنفخ الأبواق - يدخل الأمير الصغير ودوق جلوستر وبكنجهام والكدينال بوشيه وكاتسبي وآخرون) .

بكنجهام : مرحبا بك فى لندن عاصمتك ومثواك أيها الأمير العزيز؛

جلوستر : مرحبا بك يا ابن أخى ويا مدار أفكارى
لقد علاك الطريق الشاق بمسحة من الحزن .

الأمير : لا يا عمه — ولكن ما لقيناه من متاعب
جعل الطريق مملا متعبا ثقيلًا .

وددت لو كان لى هنا أحوال أكثر ليرحبوا بى .

جلوستر : أيها الأمير العزيز — إن براءة سنك الصغيرة التى لم
تشبه شائبة

لم تخض بعد فيما يكتنف الحياة من خداع ،
فأنت لا تستطيع أن تحكم على المرء إلا بمظهره .

٢ ف

١٠٨

والمظهر - علم الله قليلا ما يتفق مع طوية القلب ،
بل إنه قد لا يتفق معها أبداً .

١٠

إن هؤلاء الأخوال الذين تفتقد لهم كانوا خطرا عليك ؟
وقد استمعت إلى أقوالهم المعسولة ،

ولكنك لم تطلع على ما في قلوبهم من سم .

حماك الله منهم ومن أمثالهم من الأصدقاء الزائفين !

١٥

: حماي الله من الأصدقاء الزائفين ! ولكنهم لم يكونوا
كذلك

الأمير

: مولاي - لقد جاء عمدة لندن لتحييتك .

جلوسر

(يدخل عمدة لندن وحاشيته)

: وهب الله سموك الصحة والحياة السعيدة .

العمدة

: شكرا أيها اللورد العزيز . وشكرا لكم جميعا .

الأمير

لقد توقعت أن تخرج أمي وأخي يورك للقائنا في

الطريق

٢٠

قبل أن نصل بوقت طويل .

عار على هيستنجز الكسول

إذا لم يأت لينبئنا أيحضران !

(يدخل لورد هيستنجز)

: لقد جاء اللورد في الوقت المناسب ، يتصبب عرقا ،

بكنجهام

١٠٩

: مرحبا يا سيدى اللورد — هل ستحضر أمنا ؟

: لقد لجأت أمكم الملكة وأخوكم يورك

إلى حمى الكنيسة لسبب يعلمه الله لا أنا .

وكان الأمير الرقيق يود

لو جاء معى ليلقى سموكم ،

ولكن أمه أجبرته على البقاء .

: يا لمار ! يا له من سلوك معوج نرق لا يليق بها .

سيدى الكردينال — هل لقد استك أن تقنع الملكة

بأن ترسل دوق يورك

فى الحال إلى أخيه الأمير ؟

فإن أبت فاذهب معه يا لورد هيستنجز

وانتزع بالقوة من بين ذراعها الغيورتين .

: سيدى اللورد بكنجهام ، إذا استطاع بيانى

الضعيف أن يظفر بالدوق يورك من أمه ،

فستراه هنا بعد وقت قصير ،

أما إذا استعصت على الرجاء الرقيق

فإن الله فى سماه لا يرضى

أن نعتدى على حرمة ذلك الحمى المقدس ! .

ولن أقترف ذلك الإثم الكبير

١٢

٢٥ الأمير

هيستنجز

٣٠

بكنجهام

٣٥

الكردينال

٤٠

ولو ملكت كل هذه الأرض .
 إنك عنيد عنادا لا معنى له يا سيدى .
 مسرف فى التزمت والمحافظة .
 ولو أنك نظرت إلى الأمر بروح هذا العصر السمح ،
 لما وجدت فى إخراجك اعتداء على حمى الكنيسة .
 لقد كان هذا الحمى دائما من حق
 أولئك الذين استحقوه بما أدوه من فعال :
 أو من أوتوا الفطنة ليدعوا ذلك الحق .
 والأمير لم يدع ذلك الحق ، ولم يأت ما يجعله يستحقه ؛
 لذلك فهو فى رأي لا يملك هذا الحق ؛
 وإذن فلن تعتدى على حق ولا حرمة
 إذا أخرجته من ذلك الحمى الذى لا حق له فيه .
 لقد سمعت كثيرا عن رجال الجأوا إلى حمى الكنيسة ،
 ولكنى لم أسمع قبل اليوم بأطفال فعلوا ذلك .
 : لقد حولتنى عن رأي هذه المرة يا سيدى .
 هيا يا لورد هيستنجز ، هلا ذهبت معى ؟
 : سأصحبك يا سيدى اللورد .
 : عجلا قدر طاقتكما أيها السيدان الكريمان .
 (يخرج الكردينال وهيستنجز)

بكنجهام

٥٥

٥٥

٥٥

الكردينال

هيستنجز

الأمير ٦٠

١١١

١٢

أى عمى جلوستر ، إذا جاء أخونا
فأين نقيم حتى يحين موعد تنويعنا .

جلوستر

:- حيث تحبون سموكم ،
ولكن إذا كان لى أن أقول رأى
فلأى أرى أن تستريح سموكم يوما أو يومين فى البرج ،

٦٥

وبعدها تنتقل إلى خير مكان
يلائكم صحتك وراحتك .

الأمير

: إلى أكره البرج من بين الأماكن جميعا .
أصحیح يا سيدى اللورد أن يوليوس قبصر هو الذى
بناه ؟

٧٠ بكنجهام

: أجل يا مولای الكريم . لقد كان أول من بناه
ثم أعادت بناءه الأجيال المتعاقبة .

الأمير

: أتلک حقيقة مسجلة :
أم تناقلها الناس من جيل إلى جيل ؟

بكنجهام

: إنها مسجلة يا مولای الكريم .

٧٥ الأمير

: ومع ذلك فيخيل إلى أنها لو لم تسجل ،
فإن الحقيقة تظل حية تنتقل من جيل إلى جيل ،
يروها الخلف جميعا حتى يوم القيامة .

- جلوستر بينه وبين نفسه) : يقال في المثل إن الصغار النوا بغير لا يعمر ون .
- ٨٠ الأمير : ماذا تقول يا عمي ؟
- جلوستر : أقول إن المجد يعمر وإن لم يسجل في كتاب
- (بينه وبين نفسه) وهكذا أعبر—مثل شخصية (١) الظلم المعهودة — عن معنيين في كلمة واحدة .
- الأمير : لقد كان يوليوس قيصر رجلا مجيدا .
- ٨٥ بما زادته بسالته على حدة عقله ،
- فصمم عقله على تخليد بسالته :
- ولن يستطيع الموت أن يقهر ذلك الفاتح ،
- فإنه ما زال يعيش في مجده وإن لم يعد يعيش في الحياة .
- أى ابن العم بكنجهام !
- ٩٠ بكنجهام : ماذا ، يا سيدى الكريم ؟
- الأمير : إن عشت حتى أبلغ مبلغ الرجال
- فسأستعيد حقنا القديم في فرنسا
- أو أموت جنديا كما عشت ملكا .
- جلوستر (بينه وبين نفسه) : إن الصيف القصير يسبقه في
- العادة ربيع مبكر
- (يعود هيسنجز والكردينال وفي صحبتهما يورك)

(١) كانت الرذائل في المسرحيات القديمة تتجسد في صورة أشخاص ، وجلوستر يشير هنا إلى قوله « إن المجد يعمر » ويقصد به في الحقيقة مجده هو .

١١٣

١٢

- ٩٥ بكنجهام : ها قد جاء دوق يورك ولم تطل غيبته .
- الأمير : أى رتشارد دوق يورك ! كيف حال أخينا الحبيب ؟
- يورك : بخير أيها السيد المهيب . كذا يجب أن أدعوك الآن
- الأمير : أجل يا أخى ، وإنه ليحزننا كما يحزنك
- أن نذكر قريبا موت من كان جديرا بهذا اللقب .
- ١٠٠ لقد فقد اللقب بموته كثيرا من جلاله .
- جلوستر : كيف حال ابن أخى دوق يورك النبيل ؟
- يورك : أشكرك يا عمى العطوف .
- مولاي لقد قلت إن الحشائش التى لا غناء فيها سريعة
النماء ؟
- وها هو ذا أخى الأمير قد سبقنى فى النمو إلى حد بعيد ؟
- جلوستر : هذا حق يا سيدى
- ١٠٥ يورك : : أهو إذن لا غناء فيه ؟
- جلوستر : ما ينبغى أن أقول هذا يا ابن أخى ، أيها العزيز ،
- يورك : إذن فإن سلطانه عليك يفوق سلطانى .
- جلوستر : إنه ملكى ويستطيع أن يأمرنى ،
- أما أنت فإنى أشد أزرك كما ينبغى لذى القربى .
- ١١٠ يورك : أرحو يا عم أن تعطينى هذا الخنجر .
- جلوستر : خنجرى يا ابن أخى الصغير ! بكل سرور

- الأمير : أو تستجدي يا أخى ؟
- يورك : من عمى الكريم - وأعرف أنه سيعطيني إياه ،
- فليس هذا الخنجر إلا لعبة لا يحزن المرء أن يهبها
- ١١٥ جلوستر : سأمنح ابن أخى هدية أعظم من هذا .
- يورك : هدية أعظم من خنجرك ! إذن فأعطيني سيفك معه
- جلوستر : لو كان خفيفا كما ينبغي لأعطيتك إياه يا ابن أخى .
- يورك : قد عرفت إذن أنك لا تحب أن تهب إلا الخفيف .
- من الهدايا .
- وسترد السائل إذا سألك شيئا ثقيلا .
- ١٢٠ جلوستر : إنه أثقل من أن تحمله سموك .
- يورك : إن أقيم له وزنا ولو كان أثقل من هذا .
- جلوستر : ماذا! أتريد أن تأخذ سلاحى أيها الأمير الصغير ؟
- يورك : أجل لكى أشكرك شكرا يشبه تسميتك إياى .
- جلوستر : كيف ؟
- ١٢٥ يورك : صغيرا .
- الأمير : إن لورد يورك لا يزال يبدى الغضب فى حديثه يا عم ،
- ولا شك أنك ستحتمل ذلك منه .
- يورك : تعنى يحملنى لا يحتملنى .
- إن أخى يسخر منك ومنى معاً يا عم ،

١١٥

١٢

فإنه يظن - لأنى صغير كالقرد -
أنك تستطيع أن تحملنى على كتفيك^(١) .

١٣٠

يا له من متحدث لبق سريع البديهة !
فقد عاب نفسه على نحو طريف بارع ،
لتحتمل له سخريته من عمه .
إنه لشيء رائع أن يكون فى مثل تلك السن
الصغيرة وفيه هذا الدهاء .

١٣٥

جلوستر : سيدى الأمير ، هلا تفضلت بالذهاب ؟

بينما أذهب أنا

وابن العم الكريم بكنجهام إلى أمكما
لأسألها أن تلقاك فى البرج وترحب بك .

١٤٠ يورك : ماذا ! أتذهب إلى البرج يا مولاي ؟

الأمير : تلك رغبة سيدى اللورد الوصى .

يورك : لن يهدأ لى نوم فى البرج .

جلوستر : ولم لا ؟ ماذا يخيفك منه ؟

يورك : ويحيى ! شبح عمى كلارنس الغضوب ،

فقد أنبأنى جدنى أنه قتل هناك .

١٤٥

الأمير : لست أخشى الموت من أعمامى .

(١) فى هذا سخرية من جلوستر إذا كان أحذب (كما صوره شيكسبير)

جلوستر : ولا الأحياء فيما أرجو .
الأمير : أرجو ألا أضطر إلى ذلك إن قدرت لهم الحياة .
أما الآن فهيا بنا ياسيدى اللورد فسأذهب إلى البرج
والحزن يثقل قلبي لذكراهم . ١٥٠

(صوت يوق - يصحب هستنجز والكردينال الأميرين ويتركان
جلوستر وبكنجهام وكاتسبي) .

بكنجهام : ألا تظن يا سيدى اللورد
أن يورك ذلك الثرثار الصغير قد دفعته أمه الأريبة
إلى السخرية بك، والنيل منك على هذا النحو الزرى ؟

جلوستر : بلاريب ، بلاريب .
١٥٥ آه ! إنه لصبي خطير، جرىء، حاضر البديهة ،
بارع مقدام قدير . إنه كأمه من قمة رأسه إلى أخمص
قدمه .

بكنجهام : دعلك الآن منهما ، هلم يا كاتسبي
لقد أقسمت يميننا مغلظة أن تنفذ ما اعترمناه
وأن تحتفظ به سرا .

ولقد علمت ما دار حوله حديثنا فى الطريق . ١٦٠
فإذا ترى أليس من العسير
أن نستطيع أن نقنع اللورد وليام هيستنجز

بما نراه من تنصيب هذا الدوق النبيل
ملكاً على عرش تلك الجزيرة المحيطة ؟

- ١٦٥ كاتسي : إنه يجب الأمير — من أجل أبيه — حبا جما ،
حتى ليستحيل إقناعه بأية وسيلة لينقلب ضده .
بكنجهام : وما رأيك في ستانلي إذن ؟ ماذا يكون موقفه ؟ :
كاتسي : سيفعل مثلما يفعل كاتسي تماماً .
بكنجهام : إذن فليس أماننا إلا هذا .

١٧٠ تذهب يا كاتسي الكريم وتستطلع في لباقة
رأى اللورد هيستنجز فيما اعتزمناه ،
وتدعوه غدا إلى البرج ليحضر المجلس
الذي سينظر في أمر التتويج .
فإن رأيت منه ميلا إلينا
فشجعه وبين له حججنا . ١٧٥

أما إن رفض رفضاً ثقيلاً كالرصاص ، بارداً كالثلج ،
فكن مثله واقطع حديثك معه وأخبرنا بنيته .
فسنعقد غدا مجلسين منفصلين ^(١)
وستشغل بهما انشغالا كبيراً

١٨٠ جلوسر : بلغ تحياتي إلى اللورد وليام ، وقل له يا كاتسي ،

(١) مجلس خاص بخلاف المجلس العام .

- إن رؤوس تلك الجماعة من خصومه القدماء
ذوى الخطر لتقطع غدا في قلعة بومفرت .
وهنىء صديقي بذلك النبأ السار ،
واحمل كذلك قبلة حانية منى إلى السيدة «شور»
- ١٨٥ بكنجهام : اذهب يا كاتسبي العزيز وأنفذ هذا الأمر في حكمة .
كاتسبي : سأبذل كل جهد يا سيدى اللوردان الكريمان
جلوستر : هل نراك قبل أن ننام يا كاتسبي ؟
كاتسبي : أجل يا سيدى اللورد .
جلوستر : مستجدنا كلينا في قصر كروسبي (يخرج كاتسبي)
١٩٠ بكنجهام : والآن يا سيدى ماذا ترانا نفعل
إن عرفنا أن اللورد هيسستنجزلن يستجيب لخططنا ؟
جلوستر : نضرب عنقه يا رجل — ذاك ما سنفعل .
وحين أظفر بالملك فأسألى أن تكون إيرل «هيرفورد»^(١)
وتحوز كل ما كان لأخى الملك من مقتنيات منقولة .
١٩٥ بكنجهام : سأسأل تحقيق هذا الوعد من يدك يا سيدى اللورد
جلوستر : وسنعطيك إياه برغبة صادقة .
والآن فلنتناول العشاء
ثم ننظر بعد ذلك في إحكام خططنا .
(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الثاني

أمام بيت اللورد هيستنجز : الوقت ليل
(يطرق الباب « يدخل رسول » ويفف دون باب هيستنجز)

- الرسول : سيدى اللورد ! سيدى اللورد !
هيستنجز (من الداخل) : من الطارق ؟
- الرسول : رسول من اللورد ستانلى
هيستنجز (من داخل) : كم الساعة ؟
- الرسول : أوشكت على الرابعة (يفتح هيستنجز الباب)
هيستنجز : ألا يستطيع سيدى اللورد ستانلى النوم
فى هذه الليالى الطويلة الثقيلة ؟
- الرسول : يبدو أنه لا يستطيع ، وربما أدركت هذا بعد أن
تسمع رسالته ،
وهو يبدأ فيبعث بتحياته إلى مقامك الجليل .
- هيستنجز : ثم ؟ ثم يقول ، لنبالتك ، إنه قد رأى الليلة فى المنام
- الرسول : إن الخنزير البرى هاجمه وأسقط خوذته ؛

١٢٠

ف ٢

ويقول إن ثمة مجلسين ينعقدان غدا ،
وربما تقرر في أحدهما ما يجعلك
أنت وهو تأسفان على ما دار في الآخر ؛
لذلك أرسلني لأسأل عظمةك
هل تحب أن تركب معه في الحال ،
لترحلا سريعا إلى الشمال
حتى تتجنبنا الخطر الذى توقعته نفسه في الحلم
الذى رآه .

١٥

هستنجز : اذهب يا رجل - اذهب . عد إلى مولاك

وأخبره ألا يخاف المجلسين المنفصلين ؛

٢٠

فسيشهد كلانا المجلس الأول ،

ويحضر الآخر صديقي الكريم كاتسبي ،

فإذا دار هناك أى شىء يهمننا

فسينبئنا به .

٢٥

قل له إن مخاوفه لا مبرر لها من الواقع ،

أما أحلامه فإنه لا ينبغي أن يكون من السذاجة

بحيث يصدق أضغاث الأحلام ،

تلك التى يوحى بها إليه نوم غير مطمئن .

إن فرارنا أمام التخزير ، قبل أن يتبعنا ،

١٢١

٢ م

سيغريه بأن يطاردنا وإن لم ينو ذلك من قبل .
اذهب ، واسأل مولاك أن ينهض . ويحضر إلى ؛
لكي نذهب معا إلى البرج ،
وسيرى هناك كيف يكون الخنزير رقيقا معنا .

٣٠

الرسول : سأمضي وأبأغ رسالتك إليه يا سيدى اللورد (يخرج)
(يدخل كاتسى)

٣٥ كاتسى : سعد لصباحك دائماً ، يا سيدى اللورد النبيل !

هستنجز : سعد صباحك يا كاتسى . لقد نهضت مبكرا .

ما الأنباء ؟ ما أنباء دولتنا المتداعية ؟

كاتسى : حقا ! إنه لعالم مترنح ، يا سيدى اللورد ؛

وما أظن أن أمره سيستقيم أبدا

إلا أن يلبس رتشارد إكليل الملكة .

٤٠

هستنجز : كيف ؟ يلبس الإكليل ! أتعنى التاج ؟

كاتسى : أجل يا سيدى اللورد .

هستنجز : إني لأؤثر أن يطاح بتاج رأسى^(١) الذى أحمله

على كتفى ؛

قبل أن أرى التاج يوضع فى غير موضعه على هذا

النحو الزرى .

(١) يعنى رأسه . والكلمة بالإنجليزية تعنى التاج والرأس معا .

ف ٢

١٢٢

ولكن أنظنه يسعى إلى ذلك ؟

٤٥

: أجل ، لعمري . وهو يأمل أن يراك سرّيعا إلى جانبه ،

كاتسي

لما سيكون في ذلك من خير لك .

لذلك أرسلني بهذا النبأ السار .

إن أعداءك من أقرباء الملكة

سيقتلون بلا ريب اليوم في « بومفرت » .

٥٠

: حقا إن هذا النبأ لا يحزنني ،

هستنجز

فإنهم كانوا ، ولا يزالون ، أعدائي .

أما أن أنحاز إلى جانب رتشارد ،

لأحول بين ورثة مولاي وبين حقهم المشروع

في العرش ،

فإن الله يعلم أني إن أفعل ذلك ولو متّ دونه .

٥٥

: أدام الله وفاءك يا سيدي اللورد .

كاتسي

: ولكن العام لن ينقضي حتى أضحك من هذا ،

هستنجز

حين أشهد مأساة أولئك

الذين حاولوا أن يدفعوني إلى عدااء مولاي .

أقول لك يا كاتسي . .

: ماذا ، يا سيدي ؟

كاتسي

٦٠

: لن ينقضي أسبوعان حتى أقضي على بعض الناس

هستنجز

دون أن يتوقعوا من ذلك شيئا .

كاتسي : إنه لشيء فظيع ، يا سيدى اللورد الكريم ،

أن يقتل المرء على غرة .

هستنجز ٦٥ : أوه ! إنه بشع ! وهكذا سيكون وقعه

عند ريفرز وفوجان وجرای .

وهكذا سيكون وقعه عند غيرهم ،

أولئك الذين يظنون أنفسهم ،

مثلى ومثلك ، بآمن من الخطر ،

أولئك الذين يحبهم الأميران رتشارد وبكنجهام

كما تعلم .

٧٠

كاتسي : إن الأميرين يقدران مالاك من شأن رفيع .

(بينه وبين نفسه) فلإنهما يقدوان أن رأسه قد اتخذ

مكانه الرفيع على الجسر^(١)

هستنجز : أعلم هذا عنهما . وإني لأهل له .

(يدخل لورد ستانلى)

أهلا - أهلا - أين رحلك يا رجل ؟

أتخاف الخنزير البرى وتمضى هكذا بغير سلاح !

٧٥

ستانلى : صباح الخير ، يا سيدى اللورد . صباح الخير

يا كاتسي

(١) يعنى أن رأسه سيملقى على جسر لندن بعد إعدامه كما كان متبها .

تستطيع أن تسخر من ذلك ،
ولكني أقسم بحق الصليب المقدس أني أنا
لا أطمئن إلى هذين المجلسين ، المنفصلين .

هيتجز : سيدى ،

إنى حريص على حياتى حرصك على حياتك ،
بل إنى لأؤكد بأنى لم أكن يوما أحرص منى
عليها الآن .

٨٠

أتظن أنى أستطيع أن أكون مبتهجا ، كما ترانى ،
لو لم أكن مطمئنا على سلطاننا ؟

ستافى : لقد كان اللوردات الذين يقيمون الآن فى سجن يومفرت
مبتهجين حين ركبوا من لندن ،

٨٥

وكانوا مطمئنين على سلطانهم ، ولم يكن هناك ،
حقا ، ما يبعثهم على الريبة .

ومع ذلك فأنت ترى كيف تلبد يومهم سريعا بالغيوم .
إنى لأخشى طعنة الحقد الغادرة .

واسأل الله أن تثبت الحوادث أنى كنت جبانا
دون داع إلى الجبن ا

هلا ذهبنا إلى البرج ؟ فقد أوشك اليوم^(١) أن ينصرم .

٩٠

(١) فى البيت الخامس فى أول هذا المنظر يذكر أن الساعة « أوشكت الرابعة »

هستنجز : هلم بنا - هلم - أو تعلم ، يا سيدى اللورد ،

أن السادة الذين تتحدث عنهم ستضرب أعناقهم

اليوم ؟

ستالى : إنهم بإخلاصهم يستحقون أن يحتفظوا برؤوسهم

أكثر مما يستحق بعض الذين اتهمهم أن يلبسوا

قبعاتهم .

٩٥ ولكن هلم بنا يا سيدى اللورد (يدخل رسول رسمى)

هستنجز : فلتذهب أنت الآن ريثما أتحدث إلى هذا الفقى الطيب .

(يخرج ستالى وكاتسى)

ماذا وراءك يا فى ! وكيف حالك ؟

الرسول : إن سؤال عظمتمكم عن حالى يجعلنى فى خير حال .

هستنجز : أما عن حالى فأنى أقول لك يا رجل ،

١٠٠ إنها الآن أسعد مما كانت عليه حين التقينا آخر مرة ،

فقد كنت حينئذ فى طريقى إلى سجن البرج

بإيحاء من شبيعة الملكة ؛

أما الآن فأنى أنبئك بنجر أرجو أن تحتفظ به سرا .

صباحاً مما يجعل وقت المنظر لا يوافق قوله أو شك اليوم أن ينصرم . وهذا مرجه إلى الخطأ
أو سهو من المؤلف نفسه .

إن هؤلاء الأعداء سيعدمون اليوم ،
ولم تكن حالي في يوم خيرا مما هي الآن . ١٠٥
الرسول : أدام الله على عظمتكم الخير والرضى
هستنجر : شكرا عظيما . أيها الفتى . نخذ واشرب نخعي
(يره إليه بكيسه)

الرسول : أشكر عظمتك
(يخرج) (يدخل قسيس)
القسيس : أهلا سيدي اللورد — إني سعيد برؤية عظمتك .
١١٠ هستنجر : أشكرك من صميم قلبي ياسيدي الكريم السير^(١) جون .
إني مدين لك بما أديت من طقوس ؛
ولكن عد السبت التالي ، تجد ما يرضيك .
(يمس في أذنه)

القسيس : سأقوم على خدمتك .
(يدخل بكنجهام)
بكنجهام : ماذا ! أيتحدث اللورد ، كبير أمناء القصر ، إلى
قسيس ؟
١١٥ إن أصدقاءك في « بومفرت » ، هم الذين يحتاجون
إليه ؛

(١) كان لقب سير يمنح في تلك الأيام لمن يحمل شهادة عالية في علوم الدين .

- أما عظمتك فلا حاجة بك الآن إلى الاعتراف .
- هستنجز : يا لله لقد ذكرت أولئك الذين تتحدث عنهم حين لقيت هذا القسيس . اذهب أنت إلى البرج ؟
- بكنجهام : أجل يا سيدى اللورد . ولكنى لن أمكث طويلا ، فسأعود من هناك قبل أن تعود عظمتك^(١)
- هستنجز : هذا صحيح فسأبقى لأتناول الغداء هناك .
- بكنجهام : (لنفسه) والعشاء أيضا ، وإن كنت لا تدري .
- (يمهر بالقول) أذهب أنت الآن ؟
- هستنجز : أجل — سأذهب فى خدمتك .
- (يخرجون)

(١) إشارة إلى أنه لن يعود أبدا .

الفصل الثالث

المنظر الثالث

قلعة بومفرت (Pomfret)

(يدخل سير رتشارد راتكليف وحيلة الرماح يسوقون ديمرز وجراى وفوجان إلى الموت)

- راتكليف : هيا — تقدموا بالسجناء .
- ديفرز : دعنى أقل لك ، يا سير رتشارد ،
- لأنك ستشهد اليوم ، موت واحد من رعية الملك ،
- لإخلاقه وولائه واتباعه الحق .
- جراى ٥ : حمى الله الأمير من طغمتكم جميعا !
- فأنتم عصابة لعينة من مصاصى الدماء .
- فوجان : ستعيش حتى تبكى ندما على هذا .
- راتكليف : هيا فقد حان أجلكم .
- ديفرز : أى بومفرت ، أى بومفرت ! أيها السجن الدموى ،
- يا تهللك السادة النبلاء وشقاءهم !
- ١٠ بين جدرانك اللعينة !
- مزقت السيوف رتشارد الثانى .
- وها نحن أولاء نمنحك دماءنا النبيلة لتشربها .

ويزداد مقرك المشثوم عارا بين الناس .

١٥ جرای : لقد حلت على رؤوسنا لعنة مرجريت ،

عندما صرخت مستنجدة بهيستنجز ، وبك ، وبكى ،

فلم نحرك ساكنا ونحن نرى رتشارد يطعن ولدها .

٢٠ ريفرز : لقد استنزلت اللعنات على هيستنجز ،

ثم على رتشارد ، ثم على بكنجهام . رب فلا

تنس دعاءها عليهم ، كما سمعت دعاءها علينا .

ولتكن دماؤنا يا ربى الكريم ،

دماؤنا التى سراق — كما تعلم — دون ذنب ،

كفارة عن أختى وولديها الأهميرين .

راتكليف : هيا فقد حانت ساعة الموت .

٢٥ ريفرز : فلنتعانق ويودع بعضنا بعضا

أى جرای وفوجان إلى أن نلتقى فى السماء .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الرابع

برج لندن

(يدخل بكنجهام ودربي وهيستنجز وأسقف أيل وراثكيليف ولوفل مع آخرين ، ويجلسو إلى منضدة) .

- هيستنجز : وبعد ، أيها السادة النبلاء ،
لقد اجتمعنا لكي نحدد يوما للتتويج .
فقولوا بالله ! متى يكون ذلك اليوم الملكي ؟
بكنجهام : أأعدّ كل شيء لذلك اليوم الملكي ؟
دري : أجل ولم يبق إلا أن نحدده .
أيل : إن غدا ليوم ميمون فيما أرى .
بكنجهام : من منكم يعرف رأى اللورد الوصى ؟
أيكم أقرب إلى الدوق النبيل ؟
أيل : أظن أن عظمتك تستطيع أن تعرف رأيه بأسرع مما نستطيع
١٠ بكنجهام : من ! أنا يا سيدي ؟
كلانا يعرف وجه صاحبه

أما عن قلوبنا فإنه لا يعرف عن قلبي ، أكثر
مما أعرفه عن قلبك ،
ولا أعرف عن قلبه ، يا سيدى ، اللورد أكثر
مما تعرفه عن قلبي .

أى ، لورد هيسينجز ، إنكما صديقان حميان .

١٥ هيسينجز : إننى أشكر عظمته لما يولبنى من ود .

ولكننى لم أسأله عن رأيه

فى أمر التتويج ،

ولم يشأ عظمته أن يقول شيئا عنه .

على أنكم ، أيها السادة اللوردات الأجلاء ،

تستطيعون أن تحدّدوا اليوم ،

٢٠

وسأدلى برأى نيابة عن الدوق . وأرجو أن يوافق عليه .

(يدخل جلوستر)

: ها قد جاء الدوق بنفسه فى وقت حاجتنا إليه .

للى

: طاب صباحكم جميعا ، ياسادى اللوردات الأجلاء ،

جلوستر

ويا أبناء العم . لقد تأخرت فى النهوض ،

ولكننى ، أرجو ، ألا يكون ذلك قد عاقكم عن

بحث أمور خطيرة

٢٥

كان حضورى معكم يمكن أن ينتجزها .

٣٥

١٣٢

- بكنجهام : لو لم تجئ في اللحظة المناسبة ،
ياسيدى اللورد لأعلن ولیم لورد هيستنجز عن موقفك ،
أعنى عن رأيك ، في أمر تنويج الملك .
- ٣٠ جلوستر : لن تجد أحدا أكثر جرأة من اللورد هيستنجز ؛
فلان عظمته يعرفني خير المعرفة ويحبنى أصدق الحب .
هيستنجز : شكرا لعظمتك .
- جلوستر : أى لورد إيلي .
ليل : سيدى ؟
- جلوستر : لقد رأيت في حديقتك حين كنت في «هولبورن» آخر مرة
ثمراً طيبة من « الفراولة » .
- ٣٥ : فهلا أرسلت في طلب شيء منها .
ليل : تالله لأفعلن يا سيدى بكل سرور .
(يخرج)
- جلوستر : بكنجهام يا ابن العم ، إن لي كلمة معك .
(تتنحى به جانباً)
- لقد استطاع كاتسبي رأى هيستنجز فيما اعتزمنا من أمر ،
فوجد السيد العنيد عنيها كل العنف

حتى أنه ليؤثر أن يفقد عنقه
قبل أن يوافق على أن يفقد عرش إنجاعة
ولد سيده — كما يأتي له إخلاصه إلا أن يسميه .
: انصرف سيادتك برهة وسأصحبك .
(يخرجان)

بكنجهام

دري

: لم نحدد بعد ذلك اليوم المظفر ،
وفي رأيي ، أن الغد جد قريب ،
ولست على استعداد له ؛
كما يمكن أن أكون لو كان أبعد من هذا .
(يمود أسقف أيل)

إيل

: أين سيدي الاورد دوق جلوستر ؟

لقد أرسلت في طلب « الفراولة » .

: إن عظمتته يبدو اليوم مبتهجاً راضياً ؛

٥ ٠ هيسنتجز

ولا شك أن تحيته إيانا يمثل ذلك المرح دليل
على أن هناك أمراً أو آخر سره سروراً كبيراً .
فما أظن أحداً على وجه الأرض يضارعه
في عجزه عن إخفاء حبه أو بغضه ؛
حتى ليستطيع المراء بنظرة واحدة إلى وجهه أن
يعرف مكنون قلبه .

- دربى : وماذا عرفت اليوم من مكنون قلبه
بما بدا على وجهه من سرور ؟
- هيستنجز : الحق أنه غير ساخط على أحد هنا .
فلو كان به سخط لبان ذلك فى وجهه .
- دربى ٦٠ : أسأل الله ألا يكون به سخط على أحد .
(يعود جلوستر وبكنجهام وقد علت وجهه كآبة عجيبة وراح
يقطب جبينه ويمض شفته) .
- جلوستر : ناشدكم جميعا أن تخبرونى ،
ما جزاء من يأترون على موتى ،
بأساليب شيطانية من السحر اللعين ؟
ومن نالوا من جسدى بطلاسمهم الجهنمية ؟
- هيستنجز ٦٥ : إن ما أحمله لعظمتك من حب حان ، ياسيدى اللورد ،
يحدونى أن أبادر ، أمام هؤلاء النبلاء ،
فأدين أولئك المجرمين مهما تكن أشخاصهم :
وأعلن يا سيدى اللورد أنهم يستحقون الموت .
- جلوستر : إذن فلتشهد عيناك على ما أصابنى من شرهم !
انظر كيف حاق بى السحر !
تأمل ذراعى وقد ذوت
كغصن جاف عصف به الريح .
- ٧٠

- ذلك ما صنعته بسحرها زوج إدورد ؛
 تلك الساحرة الرهيبة ، هي وتلك البغي شور ،
 ٧٥ هـ : إن كانتا قد فعلتا ذلك ، يا سيدى اللورد النبيل ،
 جلوسر : إن ؟ يا حاشى تلك العاهر اللعينة ،
 أتقول لى « إن » ؟ أنت خائن !
 اضربوا عنقه . وحق القديس بولس
 لن أتناول غدائى حتى أرى رأسه !
 عليكما بتنفيذ ذلك الأمر يا « لوفل » ويا « راتكليف » .
 ٨٠ هـ : ولنهض الباقيون ، الذين يحبوننى ؛ وليتبعونى .
 (يخرج الجميع ما عدا هـستنجز وراتكليف ولوفل)
 هـستنجز : وا أسفاه — وا أسفاه على إنجلترة ! ولا ذرة من
 أسف على أنا !
 فقد كنت أستطيع أن أتجنب هذا ، لو لم أكن
 على هذا النحو من الحمق .
 لقد رأى استانلى فى المنام أن الخنزير البرى قد
 أصاب خوذته ؛
 ولكنى سخرت من حامه وأنفت من الفرار .
 ٨٥ هـ : لقد عثر جوادى المجلل إلى قوائم ثلاث مرّات
 حين رأى البرج اليوم ،

كأنما كان يابئ أن يحملني إلى المجزة .
أوه ، والآن أجدني في حاجة إلى ذلك القس ،
الذي تحدث إلى :

الآن أشعر بالندم لأني قلت للرسول الرسمي ،
في لهجة الظافر كل الظفر على أعدائه ،
لأنهم قد ذبحوا في بومفرت
في حين بقيت أنا في رضى وأمن .
أى مرجريت ، أى مارجريت ، الآن حلت لعنتك الثقيلة
على رأس هيستنجز المسكين الشقي .

٩٠

: هيا هيا — وأسرع فقد حان موعد غداء اللورد .
لا تطل اعترافك فإن الدوق يشتهي أن يرى رأسك .

٩٥ راتكليف

: أيها النعيم الزائل ! يا نعيم المخلوقين الفانين
الذى نسعى وراءه أكثر مما نسعى وراء رضى الله !
إن من يبنى آماله على هواء من مظهرك الجميل ،
يعيش كبهار مخمور على سارية سفينة ،
تستطيع أية هزة أن ترى به
إلى أحشاء البحر القاتلة .

هيستنجز

١٠٠

: هيا — هيا — أسرع . إن الشكوى لا غناء فيها

لوفل

١٣٧

٤٢

هستجز : إيه ، أيها السفاح رتشارد ! — أى إنجلتره
التعسة !

١٠٥

إنى أتنبأ اكما بأشق مضير شهدته الأيام .
هيا — امضيا بي إلى النطع واحملا رأسى إاليه
فإن من يضحكون لمصيرى عما قليل سيلقون
حتفهم .

(يخرون)

الفصل الثالث

المنظر الخامس

أسوار البرج

(يدخل جلوتر ويكنجهام في دروع بالية واضطراب بالغ)

جلوتر : إيه يا ابن العم — ألا تستطيع أن ترتجف وتتصنع الشحوب ؟

وتبدو كأنما تقطعت أنفاسك خلال الحديث ؟

ثم تبدأ الحديث من جديد ، ثم تقطعه .

كأنما أصابك الرعب بمس من الجنون ؟

• يكنجهام : حسبك فإني أستطيع أن أقلد ممثل المأساة البارع

فأتحدث ، ثم أنظر إلى وراء ، وأنطلع عن

يمين ، وشمال ،

ثم ارتجف ، وأفزع لسقوط قشة وأتكلف

التوجس الشديد ؛

ولا تنقصني النظرات الواهة

كما لا تنقصني الابتسامات المفتعلة ؛

فكلها على استعداد لمعوتى ،

في أى وقت ، لكى أنفذ ما دبرت من خطط .

ولكن ، هل ذهب كاتسبي ؟

: نعم ، وها هو ذا قد أحضر العمدة .

(يدخل العمدة وكاتسبي)

: أيها العمدة .

: انظر هناك إلى الجسر المتحرك !

: أسمع — دقة طبل !

: انظر يا كاتسبي من فوق الأسوار .

: أيها العمدة لقد دعوناك لكى . .

: انظر وراءك — اسم نفسك فقد أقبل بعض الأعداء !

: فليحمنا الله ويحرسنا — ولتحمنا وتحرسنا براءتنا !

: مهلا ، فإنهما صديقان . راتكليف ولوفل

(يدخل لوفل وراتكليف برأس هيستنجز)

: ها هو ذا رأس ذلك الخائن الخبيث ، هيستنجز ،

ذلك العدو الخطير الذى لم يكن يشك فيه أحد .

: أحسن بحاجة إلى البكاء فقد كنت أحبه أعظم الحب .

لقد حسبته أصرح إنسان يعيش على هذه الأرض ؛

وأبعد المسيحيين طرا عن التفكير فى أى شر .

فاتخذت منه كتابا

جلوستر

بكنجهام

١٥ جلوستر

بكنجهام

جلوستر

بكنجهام

جلوستر

٢٠ بكنجهام

جلوستر

لوفل

جلوستر

٢٥

٣ ف

١٤٠

تسجل فيه روحى كل ما نخبى من خلجاتها .
 كم كان بارعا فى إخفاء رذائله ،
 بما يبدو عليه من مظاهر الفضيلة .
 حتى لقد عاش بعيداً عن كل ريبة ؛
 إن نحن أغفلنا ذنبه الظاهر المعروف
 أعنى صلته بزواج شور .

٣٠

بكنجهام : أجل — لقد كان أقدر الخائنين

على إخفاء خيائنه وسترها .
 هل يمكن أن يدور بخلدك ، أو تعتقد ،
 أنه لولا عناية الله العظيمة ،
 ما عشنا لنخبرك أن هذا الخائن الداهية ،
 كان قد أعد خطة لاغتيالنا اليوم ، فى مقر المجلس .
 أنا وسيدى الكريم لورد جلوستر ؟

٣٥

٤٠ العدة : ماذا ! أو قد فعل هذا ؟

جلوستر : عجباً ! أتحسبنا أتراكا أو كفارا ،
 أم تحسب أننا كنا نبادر
 إلى قتل ذلك الغادر ، فى مثل تلك العجلة ،
 دون أن نلجأ إلى القانون ،

لو لم تضطربنا إلى ذلك شدة خطورة الأمر ،
والمحافظة على سلامة إنجلترا ، وسلامتنا نحن ؟

المدة : كتب الله لكما الخير ! لقد استحق الموت .
وقد أحسنما صنعا ، يا سيدى الكريمين ،
إذ جعلناه نكالا للخائنين الخادعين .

٥٠ بكنجهام : على أنى لم أتوقع منه خيرا قط ،
منذ بدأ علاقته بالخليلة شور .
ومع ذلك ، فقد كان فى نيتنا ألا نقتله ،
حتى تشهد عظمتك مصرعه .

لولا أن حال دون ذلك إخلاص هذين السيدين
من أصدقائنا ، فدفعهما إلى تلك العجالة ،
وهو ما لا يلائم قصدنا كل الملاءمة .

لقد كنا نحب أن نسمع عظمتك ،
حديث الخائن ، واعترافه الوضيع ،
عن أسلوبه فى تنفيذ خيانتته ، وغايته منها ،
لكى تنقل ذاك إلى أهل المدينة ؛
حتى لا يسيئوا تأويل سلوكنا نحوه ، ويحزنوا لموته .

المدة : ولكن قولك ، يا سيدى اللورد الكريم ،

يغنى عن رؤيتي إياه ، وسماعى اعترافه .
وسأعمل ، يا سيدى النبيلين على أن أنقل
إلى أهل المدينة المخلصين ،

٦٥

عدالة مسلحكما فى هذا الأمر .

جلوسر : ولهذا الغرض كنا نود أن تكون عظمتك حاصرا ،
حتى نتجنب نقد الناس وملامتهم .

بكنجهام : أما وقد جئت بعد فوات الوقت
فاشهد على ما كنا قد انتويناه .

٧٠

وإلى اللقاء يا سيدى اللورد الكريم .
(يخرج المدة)

جلوسر : اذهب — اتبعه يا بكنجهام يا ابن العم —
اتبعه فإنه سيمضى سريعا إلى ندوة المدينة :

وهناك فلتنهز الفرصة ، بقدر ما تستطيع ،
لكى تقدح فى نسبة أبناء إدورد إلى أبيهم .

٧٥

أخبر الناس كيف أعدم إدورد رجلا من أهل المدينة ،
لا لشيء إلا لأنه قال إنه سيجعل ابنه وريثا للتاج ،
يريد بذلك بيته المعروف بهذا الاسم
إذ كان التاج ^(١) هو العلامة المميزة له .

(١) كانت البيوت فى تلك الأيام تحمل علامات مميزة بدل الأرقام .

١٤٣

٥٢

٨٠

ثم تحدث عن ترفه الذميمة ،
وخضوعه البهيمي لشهواته المتقلبة ،
تلك التي امتدت إلى خادماهم وبناتهم وزوجاتهم .
ذكرهم كيف كانت عينه النهمة ، وقلبه الضارى ،
يبحثان دائما بلا وازع عن فريسة جديدة .

٨٥

فإن اقتضى الأمر فأخبرهم ، لكي تخلص إلى ذكرى ،
أن أبى ، الأمير يورك ، كان يحارب فى فرنسا ،
حين وضعت أبى ذلك المنهوم إدورد .
وحين حسب أبى أيام الحمل حسابا دقيقا ،
تبين له أن الوليد ليس ابنه .

٩٠

وقد صدقت ملامح الوليد شكه ،
إذ لم تكن ملامحه تشبه ملامح والدى النبيل فى شىء .
على أنه ينبغي أن تمس هذا الأمر مسأ رقيقا ؛
كأنما جاء إلى خاطرك عرضا .
فإنك تعلم ، يا سيدى اللورد ، أن أبى لا تزال
على قيد الحياة .

بكنجهام : لا تعش شيئا ، يا سيدى اللورد ، فسأقوم .
بدور الخطيب فى براعة .

كما لو كنت سأنال لنفسي
تلك المكافأة الذهبية التي أطلبها لك .
فإلى اللقاء يا سيدى اللورد .

٩٥

جلوسر : إذا وفقت إلى غايتك فأحضرهم إلى قلعة «باينارد»^(١)
حيث تجدنى ، فى صحبة القسيسين الأجلاء ،
والأساقفة الراسخين فى العلم .

١٠٠ بكنجهام : سأذهب الآن . انتظر ما أحمله من أنباء ندوة
المدينة ،

حول الساعة الثالثة أو الرابعة .
(يخرج)

جلوسر : اذهب يا لوفل بأقصى سرعة إلى الدكتور شو^(٢)
(إلى كاتسبى)

واذهب أنت إلى الأب « بنكر »^(٣)
واسألهما أن يلقياني فى تلك الساعة فى قلعة
« باينارد » .

(١) قلعة باينارد Baynard Castle .

(٢) من رجال الدين وهما اللذان سيخرج جلوسر بصحبتهما للقاء العمدة فى الفصل
التالى .

١٤٥

٥٢

(يخرج الجميع ما عدا جلوستر)

فلأدخل الآن لأدبر أمراً خاصاً ، فأبعد ولد

١٠٥

كلارنس وابنته عن هذا المكان .

وأمر ألا يتصل أحد ، مهما يكن شأنه ،

بالأميرين .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر السادس

المنظر نفسه - شارع

(يدخل مسجل بورقة في يده)

المسجل : هذه هي وثيقة اتهام اللورد هيستنجز الرجل

الطيب كتبها بخط واضح أنيق

لكي تُقرأ اليوم في كنيسة القديس بولس .

ما أروعها من قصة محبوبة !

لقد أنفقت في نسخها إحدى عشرة ساعة ،

إذ جاء بها إلى كاتسبي ليلة أمس ؛

واستغرقت صياغة مسودتها مثل هذا الوقت .

ومع ذلك فقد كان اللورد هيستنجز لا يزال

منذ خمس ساعات على قيد الحياة :

حرّاً عزيزاً لا يتهمه أحد . يا لها من حياة طيبة !

من ذلك الغبي الذي لا يرى تلك الخدعة البينة ؟

ولكن ، من ذلك الجريء الذي يستطيع أن

يقول إنه يراها ؟

يا للحياة المليئة بالشر ! ويا للضياح حين يغمض

الناس أبصارهم عن ذلك السلوك المعيب !

٥

١٠

الفصل الثالث

المنظر السابع

قلعة باينارد

(يدخل جلوتر وبكنجهام من بابين مختلفين)

جلوتر : والآن يا سيدى ، ماذا قال أهل المدينة ،
وقدسية أم سيدنا المسيح ؟
بكنجهام : لقد لزموا الصمت . ولم ينطقوا بكلمة واحدة .
جلوتر : هل أشرت إلى الشك فى نسب أبناء إدورد ؟
بكنجهام : أجل - وأشرت إلى عقد زواجه السابق على السيدة
لوسى (١)

وإلى عقد زواجه وهو بفرنسا بالتفويض ،
وإلى شهواته النهمه التى لا تشبع ،
واغتصابه نساء المدينة ؛
وإلى ما كان يأخذ الناس به من ظلم ، من أجل
أشياء صغيرة تافهة ،
وإلى نسبه هو الزائف ، إذ كان قد ولد وأبوك فى فرنسا ؛
وأشرت إلى أن ملامحه لا تشبه ملامح أبيك الدوق :

١٠

(١) لوسى Lucy

- ثم ذكرت أن قسماك أنت ،
تشبه قسما أبيك كل الشبه ؛
وأنتك مثله في مظهرك ومخبرك النبيل .
وأشدت بجميع انتصاراتك في اسكتلاندا ١٥
وحزمتك في الحرب ، وحكمتك في السلم ،
وكرمك وما تتحلى به من فضيلة ، وتواضعك الجميل .
والحق أنى لم أترك شيئا يخدم غايتك
إلا ذكرته أو أشرت إليه .
وحين فرغت من خطبتي ؛ ٢٠
طلبت إلى كل من يخلص لوطنه الحب ،
أن يهتف : عاش رتشارد ملك إنجلتره
: وهل هتفوا ؟
: لا والله ! ما نطقوا بكلمة واحدة !
جلوسه
بكنجهام

- بل ، نظر بعضهم إلى بعض ، في صمت ، وقد عراهم
شحب بالغ . ٢٥
كأنهم تماثيل خرساء ، أو صفوف تتنفس ؛
فلما رأيت ذلك منهم ، وجهت إليهم اللوم ؛
وسألت العمدة عن سر ذلك الصمت العنيد ؛
فأجابني بأنهم لم يتعودوا أن يتحدث إليهم أحد

١٤٩

٧٢

في تلك الأمور ، غير مسجل الندوة .

٣٠

فطلبت إليه أن يعيد عليهم قولي ، ففعل ،

فكان يردد القول «هكذا تحدث الدوق وهكذا قال »

ولم يزد شيئا واحدا من عنده تصديقا لذلك .

ولما فرغ من خطابه قذف بعض أتباعي

في آخر القاعة بقبعاتهم في الهواء ،

٣٥

وصاح ما يقرب من عشرة رجال . حفظ الله

الملك رتشارد !

فانهزت هتاف هذه الفئة القليلة ،

وقلت : « شكرا لكم ، أيها المواطنون والأصدقاء

الأعزاء ،

« إن هذا الاستحسان العام ، وتلك التهنئات

المستبشرة التي انبعثت منكم جميعا

لبرهان على حصافتكم وحبكم لرتشارد . »

٤٠

وعند ذلك غادرت الاجتماع وجئت إلى هنا .

جلوستر : يا لهم من أحجار مُخرّس ! أهكذا أبوا أن ينطقوا ؟

بكنجهام : أجل ، وأيم الحق ، يا سيدي اللورد .

جلوستر : ألن يحضر العمدة ورفاقه إذن ؟

بكنجهام : إنه هنا قريب — والآن يا سيدي اللورد الكريم

(١٨)

٢٠

١٥٠

فلتتظاهر بشيء من الخوف،

٤٥

وبأنك غير راغب في الحديث إلا برجاء وإلحاح.

ولتحمل في يدك كتابا من كتب الصلوات ،

ولتقف بين رجلين من رجال الدين ،

فسأصنع من تلك النغمة لحنا رائعا مقدسا .

ولا تجب سؤلنا في يسر؛ بل كن كالعذراء لا تجيب

٥٠

إلا بـ « لا » ، وهكذا يتم لك الأمر .

: سأذهب— وإذا استطعت أن تلح في سؤل بالنيابة عنهم

جلوسه

كما سألح في الرفض ،

فلا شك أننا سننجح في تدبيرنا .

: هيا — اذهب إلى الفناء فإن العملة يدق الباب

٥٥ بكنجهام

(يدخل العملة وبعض المواطنين الفناء)

مرحبا يا سيدى اللورد — إني ما زلت في الانتظار هنا .

يظهر أن الدوق لا يجب أن يتحدث إليه أحد

في ذلك الأمر .

(يدخل كاتسي)

كاتسي ، ما رأى مولاك اللورد فيما سألت ؟

: إنه يرجو عظمتهك ، يا سيدى اللورد الكريم ،

٥٩ كاتسي

أن تزوره غدا أو بعد غد .

٦٠

فإنه في الداخل بصحبة اثنين من آباء الكنيسة الأجلاء ،
يقضون الوقت في الصلاة والتأمل .

ولا يستطيع أن ينصرف عن ذلك العمل المقدس ،
إلى التفكير في أمور الحياة الدنيا .

٦٥ يكنجهام : عُد ، أيها السيد الطيب كاتسي ، إلى الدوق الجليل ،

قل له إننا ، أنا والعمدة ، وبعض أعوانه ،
قد جئنا لنتحدث إلى عظمته

في أمور خطيرة الشأن ،

تتصل بصالحنا جميعا .

٧٠ كاتسي : سأنقل إليه من فوري جميع قولك يا سيدي

(يخرج)

٧٥ يكنجهام : آهـها ! إن هذا الأمر يا سيدي اللورد شيء غير إدورد .

إنه لا يقضى نهاره متقلبا في فراش الدنس ،
بل يقضيه راكعا يصلي ؛

ولا ينفق وقته عابثا مع بغين ،

بل ينفقه متأملا مع قسين ورعين ،

ولا ينام ليزداد جسده المسترخى لحما وشحما ،
ولكن يصلي لتزداد نفسه العاكفة ورعا وتقوى .

٧٥

٣ ف

١٥٢

يا لحظ إنجلترة السعيد ، لو قبل هذا الأمير التقي ،
أن يكون ملكا عليها !

ولكنى أخشى ألا نستطيع حقا إقناعه بالقبول .
: لا قدر الله أن يرفض !

٨٠

العمدة

: أخشى أن يفعل . ها هو ذا كاتسبي قد أقبل ثانية .
(يمود كاتسبي)

بكنجهام

ما قول عظمته الآن يا كاتسبي ؟

: إنه يعجب لماذا جمعت هذا الحشد

كاتسبي

من أهل المدينة ليتحدثوا إليه ،

٨٥

دون أن تحيطوه علما بذلك من قبل ؟

وهو يخشى يا سيدى اللورد أنك لا تقصد خيرا .

: إنه ليحزننى أن يظن ابن عمى النبيل ،
أنى لا أقصد خيرا ،

بكنجهام

فوالله ما جئت إلا بدافع من حبى البالغ له .

٩٠

فعد إليه ، وبلغه ما أقول .

(يدخل كاتسبي عليه مرة أخرى)

حين يمسك الأنقياء بمسبحاتهم

يصبح صرفهم عنها أمراً عسيرا .

كم هو جميل أن يستغرق المرء فى التأملات الحارة !

١٥٣	٧٢
(يدخل جلوسر منتصب القامة بين أسقفين ويمود كاتسي)	
: انظر كيف يسير بين اثنين من رجال الدين .	٩٥ العمدة
: لإنهما ، لأمير مسيحي ، عمادان من الفضيلة	بكنجهام
يعصمانه من السقوط في مهاوى الغرور ،	
انظر ! إن في يده كتاب صلاة !	
لإنها أمور تزين حقيقة الرجل التقى .	
أيها الأمير النابه الأجل من آل بلانتاجنت !	١٠٠
أعر سؤلنا أذنا صاغية ،	
واغفر لنا لإخراجنا إياك من صلاتك وعكوفك	
الذي هو شيمة المسيحي التقى .	
: لا حاجة بكم إلى الاعتذار ، ياسيدى اللورد ،	جلوسر
بل إن على أنا أن أطلب إليكم الصفح .	١٠٥
إذ تأخرت في الخروج إلى أصدقائي ،	
لأنصرفني إلى عبادة الله .	
وبعد ، فإذا تحبون أن تقولوا لي .	
: ما يرضى الله في علاه ،	بكنجهام
ويرضى الأخيار جميعا من أهل الجزيرة التي	
لا حاكم الآن لها .	١١٠
: أخشى أن أكون قد اقترفت ذنبا	جلوسر

أسخط أهل المدينة ،
فجئتم تنعون على جهالتى .
بكتهام : لقد أقرت ذنبا ، يا سيدى اللورد ، ونرجو أن
تستجيب ، عظمتك ،

لتوسلاتنا وتكفر عنه . ١١٥
جلوتر : لا كنت مسيحيا إن لم أفعل .
بكتهام : إذن فاعلم أن ذنبك
أنك تتخلى عن المنصب السامى ؛
والعرش الجليل ، وصولجان أسلافك ،
والمكانة التى منحها إياك حظك ، وجعلها من
حقك نسبك ، ١٢٠

ومجد آبائك ، وبيتك الملكى ؛
تتخلى عن ذلك كله ليفسد فيه بيت غير صحيح النسب ؛
وتستغرق أنت فى سبات أفكارك الطيبة ،
التى جئنا نوقظك منها ، لنخبر هذه البلاد .
بينما تحتاج هذه الجزيرة المحيدة إلى سواعد أبنائها
الصادقين ، ١٢٥
بعد أن شوهت وجهها جراح العار ، واختلطت
شجرة أسرته الملكية بأشجار خسنة ؛

١٥٥

٧٢

وكادت تهوى في هوة مخيفة من النسيان الأعمى
والخفاء الحالك .

لذلك نسألك الآن ، من قلوبنا ،
أن تتقدم — لكى تنقذها — فتحمل العبء ،
وتقوم بحكم بلادك هذه ،

١٣٠

لا وصيا ، ولا قيا ، ولا نائبا ،
ولا وسيطا قليل الشأن لخير إنسان آخر ،
ولكن ملكاً يحكم دولته
بحق وراثته الملك كابرا عن كابر ،

١٣٥

وبحق مولده وبحق دولته ، وبحقه على نفسه .
في سبيل هذه الغاية
جئت أستنهض عظمتك ،

يستحبنى إلى ذلك استحثاثا هؤلاء المواطنين ،
وأصدقاؤك هؤلاء المحبون المخلصون .

١٤٠

: لست أدري أنصرف في سكون

جلوس

أم أتكلم فأوجه إليك اللوم المرير .

أقول ما يلائم شعورى أو ما يلائمك ؟

فربما ظننت إن لم أجيبك أن الطموح قد عقدلسا؛

ولأننى بسكوتى قد سلمت .

١٤٥

بأن أحمل نير الملكية الذهبي ،
الذى تتوق نفسك إلى أن تضعه على عاتقي ،
وإن وجهت إليك اللوم لمطلبك هذا
الممزوج بحبك وللائك لي ،
فربما ساء ذلك أصدقائي من ناحية أخرى .
لذلك سأتكلم حتى لا تظن بي أول الأمرين ،
وسأتكلم على نحو يجنبني ثانيهما ؛
فأقول في صراحة

١٥٠

إن حبك لي يستحق شكرى .
ولكن قدرى المتواضع يأبى أن أجيبك إلى مطلبك الخطير .
فلو أن جميع العقبات قد ذلت ،
وغدا طريقى سهلا ممهدا إلى التاج ،
الذى يواتينى بفضل نضوج سننى ،
ونضوج رأيى ، وبحكم مولدى ؛

١٥٥

فإنه لخير لي ، أنا الضعيف الهمة العظيم النقائص ،
أن أتوارى عن الطريق الذى يؤدى إلى العظمة ،
من أن أشتى أن أتوارى بعد أن أظفر بها وأختنق
فى غبار مجدى .
فلمست إلا زورقا لا يستطيع أن يحمل عباب

١٦٠

١٥٧

٧٢

المحيط الزاخر .

على أنى أشكر الله إذ لا حاجة بكم إلى ؛
وليس لى من القدرة ما أعينكم به ، إن طلبتم عوفى ،
فإن الشجرة الملكية قد تركت لنا ثمرة طيبة ،
سينضجها مر الزمن السريع ،
فيصبح أهلا للعرش الجليل
ويسعدنا بحكمه دون ريب .

١٦٥

فعلية ألقى ذلك العبء الذى أردتم إلقاءه على .
فإنه من حقه ، وحق طالعه السعيد ،
فلا قدر الله أن أغتصبه من يديه !

١٧٠

بكنجهام : سيدى اللورد ، ذلك برهان على ما لعظمتك من
ضمير حى .

ولكن تلك الأسباب التى أشرت إليها تافهة ،
غير جديرة بالتقدير ، إذا تدبرنا جميع الظروف .
إنك تقول إن إدورد^(١) ابن أخيك .

١٧٥

وكذلك نقول ، ولكنه ليس من زوج إدورد^(٢)
فإن أخاك كان قد خطب السيدة لوسى فى مبدئ الأمر ،

(١) الأمير الصغير ولى العهد .

(٢) والده الملك إدوارد الرابع .

ف ٣

١٥٨

ولا تزال أملك على قيد الحياة، تشهد على ذلك العهد .

ثم إنه خطب بعد ذلك — بالتوكيل —

١٨٠

« بونا »^(١) أنحت ملك فرنسا .

ثم تحول عنهما إلى من ليست كفؤا له ،

إلى أرملة كتيب وأم لأطفال عدة .

قد أبلتها الهموم ، أشرف جمالها على الأفول .

استطاعت وهي في خريف شبابها ،

١٨٥

أن تأسر عينيه المفعمتين بالشهوة ؛

وأن تنزل بطموحه من عليائه ،

إلى درك زواج مهين غير شرعي^(٢) ؛

وبهذا الزواج غير المشروع أنجبت له إدورد هذا ؛

الذي يأبى لنا حسن الخلق إلا أن نسميه أميرا .

١٩٠

ولولا إجلالي لبعض الأحياء^(٣)

لأطلقت للسان العنان ،

وأفضت في الأمر على نحو أعنف .

لذلك أسألك ، يا سيدى اللورد الكريم ، أن تقبل

هذا المنصب الجليل

(١) بونا . Bona

(٢) كان الزواج من أرملة يعد غير شرعي .

(٣) يبنى أم الملك إدورد وهي كذلك أم دوق جلوستر .

١٥٩

٧٢

الذى نعرضه عليك ،

١٩٥

إن لم يكن لخيرنا وخير هذه البلاد ،
فلكى ترفع نسبك النبيل من وهدة الفساد .
التي دفعه إليها هذا الزمان اللميم ؛
ليعود نسبا صحيحا صادقا .

: إقبال ، يا سيدى اللورد الكريم ، فإن أبناء وطنك
يتوسلون إليك .

العمدة

٢٠٠

: لا ترفض ما نبذل لك من ولاء ، أيها المولى الجليل .
: أجب سؤلهم الحق ، وأدخل السعادة إلى نفوسهم .
: يا ويلتا ! لم تلقون هذه الحموم على عاتق

بكنجهام

كاتى

جلوستر

ولست أصلح للحكم والملاك ،

سألنكم ألا يسوؤكم ما أقول ،

٢٠٥

ولكنى لا أستطيع ، ولن أستطيع ، أن أستجيب لكم .

: قد ترفض لأننا نعلم أنك تحب ابن أخيك الصغير

بكنجهام

أصدق الحب ،

وتأبى أن تنتزعه من العرش

ونعلم رقة قلبك ،

٢١٠

وما فى نفسك من رحمة حانية ،

نحو ذوى قرباك ،

بل نحو الناس جميعا على السواء ؛
ولكن سواء أجبت دعوتنا أو رفضتها ،
فإن ابن أخيك لن يكون ملكا علينا .

٢١٥

فسنقيم على العرش شخصيا آخر ،
وسيقضى ذلك على بيتكم ، ويجلله بالعار .
وعلى هذا العزم سنخرج الآن من عندك .
هيا أيها المواطنون ، فوالله إن أتوسل أكثر مما فعلت .
: لا تقسم يا سيدى اللورد بكنجهام .

جلوستر

(يخرج بكنجهام مع أهل المدينة)

: ناده ثانية يا سيدى الأمير الكريم ، واقبل دعوتهم .
فلتفعل يا سيدى حتى لا تحزن البلاد جميعها .

٢٢٠ كاتسى

: أترضوننى إلى حياة مليئة بالهموم ؟

جلوستر

إذن ، فادعهم ثانية ، فإنى لم أقدر من صخر ،
وقد نفذت توسلاتكم إلى قلبى ،

رغم ما أجده من ضميمى وروحى من سخط .

٢٢٥

(يعود بكنجهام ومن معه)

يا ابن العم بكنجهام ، وأنتم أيها الرجال الحكماء الخازمون ،
ما دمتم تأبون إلا أن تضعوا
نير المجد الثقيل على كاهلى ، رضيت أو لم أرض ،

- فسألتقدم لكى أحمله فى صبر .
 وأرجو أن يبرئنى إجباركم إياى ،
 من كل ما يمكن أن يندس صفحتى أو يصننى به
 الناس من تأمر ؛
 إن لحقتنى الفضيحة النكراء من جراء ذلك ،
 أو أطل على اللوم بوجهه الشائه .
 فالله يعلم — وأنتم قد ترون —
 ألا رغبة لى فى ذلك المنصب .
- ٢٣٥
- العمدة
 جلوسر
 بكنجهام
- : بآرك الله فى عظمتك ! لقد رأينا وستحدث بما رأينا .
 : ولن يكون حديثك هذا إلا الحق .
 : إذن فلانى أحبييك بتحية الملاك :
 عاش رتشارد ملاك إنجلترة .
 : آمين .
- ٢٤٠ الجميع
 بكنجهام
 جلوسر
 بكنجهام
- : أتوافق على أن تتزوج غدا ؟
 : متى تشاءون ما دمتم تريدون ذلك .
 : إذن فسنجىء إلى عظمتك غدا .
 أما الآن فإننا وقد استخفنا السرور نستاذن فى الانصراف .
 : هيا — ولنعد نحن إلى صلاتنا المقدسة .
 إلى اللقاء يا ابن العم . إلى اللقاء أيها الأصدقاء
 (يلعبون)
- ٢٤٥ جلوسر

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام البرج

(تدخل من ناحية الملكة إلزابث ودوقة يورك والمركيز دورست . وتدخل من ناحية أخرى آن دوقة جلوستر ومهما مرجريت بلانتاجنت ابنة كلارنس الصغيرة) .

الملكة : من تلقى هنا ؟ حفيدتى بلانتاجنت

فى يد عمها الرعوف دوقة جلوستر ؟

تالله إنها للذهبية إلى البرج

يدفعها حب قلبها الطاهر إلى زيارة الأميرين .

مرحبا بك يا ابنتى .

آن : أسعد الله صباحكما وطاب وقتكما

الملكة إلزابث : سعد صباحك يا أختى العزيزة ! إلى أين ؟

آن : إلى البرج وأظنكم ذاهبون مثلنا

لزيارة الأميرين ،

يدفعكم الإخلاص كما يدفعنا .

١٠

الملكة إلزابث : شكرا لك يا أختى العزيزة سندخل جميعا معا .

(يقبل براكنرى من البرج)

ها قد جاء رئيس الحرس فى وقت حاجتنا إليه .

ما أخبار الأمير وابنى الصغير يورك

إن أذنت لى أن أسألك أيها الرئيس ؟

١٥ براكنرى : بخير يا مولاتى العزيزة . وأرجو أن تعذرينى

إن لم أستطع السماح لك بزيارتكما .

فقد أمرنى الملك أمرا قاطعا ألا أفعل .

الملكة إلزابث : الملك ! من يكون هذا ؟

براكنرى : معذرة لقد عنيت اللورد الوصى .

٢٠ الملكة إلزابث : لا قدر الله له هذا اللقب الملكى !

أوقد أقام الحدود بين جيهما وبينى ؟

إنى أمهما . منذا الذى يستطيع أن يحول بينى وبينهما ؟

الدوقة : وأنا أم أبيهما . ولا بد أن أراهما .

آن : وأنا عمتهما بالنسب وأمهما بالحب .

٢٥ فاذهب بى إليهما وسأحمل عنك اللوم

ووزر تخليك عن عملاك .

براكنرى : لا ياسيدتى لا — لن أتخلى عنه على هذا النحو ،

فقد أقسمت يميننا على الطاعة ، وأرجو المعذرة .

(يمشى إلى الداخل)

(يقف لورد ستانلي)

ستانلي : سيداتي — إن لقيتكن بعد ساعة واحدة ،

٣٠

فسأمنى دوقه يورك بما عاشت

لترى كنتيها كلتيهما ملكتين جميلتين ،

(إلى آن) — هيا يا سيدتي إلى وستمنستر

لتتوجي هناك ملكة مع زوجك رتشارد .

الملكة إلزابيث : أواه ! فلينشق ثوبي عن صدري

٣٥

لكي يجرد قلبي متنفسا لضرباتك ،

وإلا فقدت وعيي لهذا النبا القاتل .

آن : يا لها من أخبار بغیضة أئمة !

دورست : لا تستسلما لليأس . كيف تجدينك يا أماء ؟

الملكة إلزابيث : دورست ، لا تخاطبني . ابتعد عن هذا المكان

٤٠

فإن الموت والدمار يتبعانك ،

واسم أمك شؤم على أبنائها .

وإن قُت الموت فأعبر البحر

وعش مع ريتشموند بعيدا عن قبضة الجحيم :

هيا ، انج بنفسك . انج من هذا المجرر

٤٥

حتى لا يزيد بك عدد الموتى ،

فتظفر بي لعنة مارجريت

وأمرت لا أما ولا زوجا ولا ملكة من ملكات إنجلترا .

: تلك نصيحة سديدة يا مولاي .

ستافل

(إلى دوست) هيا لا تضع وقتنا ، وسأكتب إلى ولدي (١١)

ليلقاك في طريقك ويرحب بك ،

٥٠

فلا تبطئ واحذر عواقب التأخير .

: أى ريح الشقاء المشؤومة ،

الدوقة

أى رحى الرحيم يا مهد الموت ،

لقد أخرجت إلى الحياة أفعوانا ،

تقضى عيناه القاتلتان على من ينظر إليهما .

٥٥

: هيا يا سيدتى ، هيا

ستافل

فقد أمرت أن أعود بك على عجل .

: سأذهب راغمة كارهة .

آن

وددت لو جعل الله تلك الحلقة الآسرة من الذهب

تلك التى ستطوق جيبينى حديدا متوهجا يشوى رأسى

حتى الصميم

٦٠

وددت لو نضجت بسم قاتل بدلا من الزيت المقدس

فأمرت قبل أن يقول الناس : عاشت الملكة !

(١) ريتشمولد ولد زوجه وولده بحكم العرف الإنجليزى .

الملكة إلزابيث : اذهبي ، اذهبي أيتها البائسة فما أنفـس عليك مجدك ،
وليس عليك أن تمنى لنفسك الضرر بحجارة لى.

٦٥ آن : ولم لا ؟ لقد كنت أسير وراء جثمان هنرى

حين جاءنى من هو الآن زوجى ،

ولما تكـد الدماء تزول عن يديه ،

تلك الدماء التى فاضت من زوجى الآخر الطاهر ،

ومن ذلك القديس الغالى الذى كنت حينئذ

أسير باكية وراء جثمانه . وحين رأيت وجهه ٧٠

استنزلت عليه اللعنات قائلة :

« فلتحل عليك اللعنة كما جعلتنى

أرملة فى ريعان شبانى ،

وإذا ما تزوجت فليلازم الحزن فراشك ،

ولتشق زوجك معك — إن وجدت من ترضى بك — ٧٥

كما أشقيتنى بموت زوجى العزيز .

ولكن سرعان ما أسرت كلماته المعسولة

قلب المرأة الغرّ ؛

ولما أستنزل عليه اللعنة مرة أخرى .

وهكذا حقت على لعنتى . . . ٨٠

فلم يغمض لى جفن بعد ذلك ؛

- ولم تهبط علىّ في فراته ساعة واحدة
من ندى النوم الذهبي ،
بل ظل يؤرقني بما كان ينتابه من أحلام مفرعة .
وهو إلى ذلك يبغضني من أجل أبي وريك ،
ولا يب أنه سيتخلص مني سريعا .
الملكة إلزابث : وداعا أيتها المسكينة ! لأنني أرتي لبلواك .
آن : إن حزني لمصيبتك لا يقل عن رثائك لي .
الملكة إلزابث : وداعا يا من تستقبل المجد بالحزن والأسى !
آن : وداعا أيتها المسكينة يا من هجرها المجد !
الدوقة : (إلى دورست) — اذهب إلى رتشموند — صحبتك العيني !
(إلى آن) — واذهي أنت إلى رتشارد — رعتك الملائكة !
(إلى الملكة إلزابث) واذهي أنت إلى حمى الكنيسة
أنزل الله على نفسك السكينة !
أما أنا فسأذهب إلى قبري حيث يرقد معي السلام
والطمأنينة !
لقد شهدت ثمانين عاما نكراء من الأحزان^(١) ،
وقاسيت لقاء كل ساعة من الفرح سبعة أيام من الحزن .

(١) عاشت الدوقة يورك ثمانية وستين عاماً ليس غير ولكن أحزان الموقف تنمى
الدقة التاريخية .

ف ٤

١٦٨

الملكة الزابت : ابقى قليلا ، وألقى نظرة معى إلى البرج .
 أيتها الأحجار العتيقة ارحمى هذين الطفلين الرقيقين
 اللذين ألقى بهما الحسد والبغضاء بين أسوارك !
 أيتها المهد الحشن هذين الجميلين ،
 أيتها الحاضنة الغليظة .
 أيتها الرفيق العيوس للأميرين الغضين ، رفقا بولدى !
 والآن أستودعك الله فى أسى واله أيتها الأحجار العتيقة .
 (تخرجان)

١٠٠

الفصل الرابع

المنظر الثاني

لندن - القصر

(صوت أبواق - يدخل رتشارد في أبهة الملك وعلى رأسه التاج ومعه بكنجهام وكاتسبي وصيف وآخرون)

الملك رتشارد : ابتعدوا جميعاً - بكنجهام يا ابن العم !

بكنجهام : مليكي الجليل !

الملك رتشارد : أعطى يدك (يصعد على العرش) بفضلك أرقى هذا المجلس السامي وبعونك

يجلس الملك رتشارد على العرش .

ولكن ترى أيعيش هذا المجد يوماً واحدا ؟

أم يدوم ونسعد به ؟

بكنجهام : ليعش هذا المجد وليدم إلى الأبد !

الملك رتشارد : أى بكنجهام، الآن امتحن معدنك لأرى إن كان

حقاً من الذهب .

إن إدورد الصغير ما زال على قيد الحياة .

أستطيع أن تحاس ما أريد أن أقول ؟

٤

١٧٠

- بكنجهام : فلتقله يا مولاي العزيز .
- الملك رتشارد : عجباً يا بكنجهام أقول إني أريد أن أكون ملكاً .
- بكنجهام : ولكنك ملك يا مولاي الأجل !
- الملك رتشارد : ها ! أنا ملك ؟ أجل ، ولكن إدورد ما زال حياً .
- بكنجهام ١٥ : أميراً نبيلاً مخلصاً .
- الملك رتشارد : ياله من نذير شؤم أن يظل إدورد حياً « أميراً نبيلاً مخلصاً »
- يا ابن العم إنك لم تعودني أن تكون هكذا بطيء الفهم ؟ أننحدث بجلاء ؟
- إني أريد أن يموت ولدا الزنا هذان ، وأحب أن يتم ذلك سريعاً ، فماذا تقول الآن ؟
- هيا - تكلم سريعاً ولا تبطئ .
- بكنجهام ٢٠ : تستطيع جلالتك أن تفعل ما تحب .
- الملك رتشارد : صه ، صه . إنك بارد كالثلج . إن ودك قد تجمد . قل ، أتوافق على أن يموتا ؟
- بكنجهام : مولاي العزيز ، أعطني متنفساً من الوقت ، مهلة قصيرة قبل أن أجيب إجابة حاسمة عن هذا السؤال : وسأنتي جلالتك سريعاً برأيي .
- (يخرج)

٢٥

كاتسي : (إلى أحد الحضور على انفراد) إن الملك غاضب . انظر كيف يعرض شفته .

الملك رتشارد : سأشاور القساة من الحمقى

والمندفعين من الرجال ؛ (يبط من عرشه)

فليس لي شأن بأصحاب التبصر والروية :

٣٠

لقد أصبح بكنجهام البعيد الأطماع حريصا مترددا .
يا غلام

الوصيف : مولاي ؟

الملك رتشارد : أو تعرف أحدا يستطيع بريق الذهب

أن يغريه بارتكاب جريمة قتل في الخفاء ؟

٣٥

الوصيف : أعرف يا مولاي سيدا ساخطا ،

من أولئك الذين لا يتناسب فقرهم وما لديهم
من طموح ،

ولا شك أن الذهب سيكون عنده أبلغ من
عشرين خطيبا ،

وسيفريه بأن يفعل أي شيء

الملك رتشارد : ما اسمه ؟

اسمه ، يا مولاي ، تيرل .

٤٠ الوصيف

الملك رتشارد : لقد سمعت عنه — اذهب وادعه إلى هنا يا غلام .

(يخرج الوصيف)

لن يكون بكنجهام الأريب الماكر
مشيرى بعد الآن .

أو قد طال نضاله من أجلى إلى هذا الحد
حتى يطلب الآن متنفسا . فليكن !

٤٥

(يدخل ستافل)

ما وراءك يا لورد ستافلى !

ستافل

: سمعت يا مولاي العزيز

أن المركيز دورست قد فرّ إلى ريتشموند
حيث يقيم في الجانب الآخر من البحر .
(يقف جانبا)

٥٠ الملك رتشارد : إذن منى يا كاتسبي ، أذع في الناس

أن زوجى آن مريضة ، مشرفة على الموت .
وسأمر ألا يزورها أحد ،

ثم ابحث لى عن رجل مسكين حامل النسب ،
لأزوجه في الحال من ابنة كلارنس ،

أما ولده فإنه أحرق لا أخشى منه شرا .

٥٥

مالك تقف هكذا كالحالم ؟ هاأنذا أكرر
ما قلته لك ،

أذع إن زوجى مريضة مشرفة على الموت

١٧٣

٢٢

هيا ! فلاني مهمت بأن أحطم كل أمل
في أن يلحق بي ضرر في المستقبل. (كاتسي يخرج مسرعا)
ولا بد لي أن أتزوج ابنة أخي
ولألا فسيظل ملكي مستقرا على زجاج هش .
أقتل أخويها ثم أتزوجها !
يا لها من سبيل إلى الظفر محفوفة بالخواف !
ولكني قد انغمست الآن في الدماء ،
ولا بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة ،
ولا مكان لدموع الرحمة في عيني .
(يعود الوصيف مع تيرل)

٦٠

٦٥

أو اسمك تيرل ؟

تيرل : جيمز تيرل — خادمك المطيع .
الملك رتشارد : أحقا أنت كذلك ؟
تيرل : إختبرني يا مولاي الكريم .
الملك رتشارد : أتجرؤ أن تقتل أحد أصدقائي ؟
٧٠ تيرل : إنني لأؤثر في سبيل مرضاتك أن أقتل اثنين من أعدائك .
الملك رتشارد : لقد نطقت بما في نفسي — عدوان لدودان
يقضآن راحتي ويزعجان نومي الهادئ .
وهما اللذان أريد منك أن تقتلهما يا تيرل .

- أعفى ولدى الزنا هذين اللذين يقيمان فى البرج .
 : دعنى أدخل إليهما تيرل ٧٥
 فأجنبك سريعا مخافهما .
 : إن حديثك كالغذاء العذب — اسمع ، ادن منى يا تيرل الملك رتشارد
 خذ هذا الإذن منى هيا وأعرنى سمعك ،
 (يمس إليه)
 هذا كل ما هناك . قل إنك ستفعل ،
 أكافئك بمودتى ومالى .
 : سأفعل يا مولاي فى الحال . تيرل
 : أنسمع خبرامتك يا تيرل قبل أن نأوى إلى الفراش ؟ الملك رتشارد
 : أجل يا مولاي . تيرل ٨٠
 (يخرج) (يمود بكنجهام)
 : مولاي — لقد فكرت فيما عرضته على أخيرا . بكنجهام
 : دعك منه — لقد فر دورست إلى ريتشموند . الملك رتشارد
 : لقد سمعت بالنبأ يا مولاي . بكنجهام ٨٥
 : إنه ريتشموند ابن زوجك يا ستانلى فتدبر الأمر . الملك رتشارد
 : مولاي — إنى أطلب مكافأتى : بكنجهام
 التى أقسمت بالله وبشرفك أن تكون لى :
 ولاية هيرفورد ومتاع الملك

الذى وعدتني به .

٩٠

الملك رتشارد : راقب زوجك يا ستانلى

فستكون مسئولاً إن هى كتبت إلى ريتشموند .

بكنجهام : ماذا تقول جلالتك فى مطلبى العادل ؟

الملك رتشارد : إني أذكر أن هنرى السادس

قد تنبأ لريتشموند ،

٩٥

وهو بعد طفل ساذج ، أنه سيصير ملكاً

ملكاً ! ربما . . ربما

بكنجهام : مولاي !

المرشاد : كيف لم يستطع ذلك المتنبي أن يتنبأ لي

وقد كنت حاضراً ؟ إني سأقتله .

١٠٠

بكنجهام : مولاي ، وعدك بلقب الولاية . .

الملك رتشارد : ريتشموند ! حين كنت آخر مرة فى إكستر

أراد العمدة أن يحتفى بي فأراني القصر وقال إن

اسمه « روحمونت »

وقد فزعت حين سمعت هذا الاسم

إذ كان عراف أيرلندي قد أنبأني ذات مرة ؛

١٠٥

أني لن أعيش طويلاً بعد أن أرى ريتشموند .

بكنجهام : مولاي

- الملك رتشارد : نعم — كم الساعة ؟
 بكنجهام : إني أجرو فأذكر جلالتك
 بنوعك الذى وعدتني .
- ١١٠ الملك رتشارد : نعم ، لكن كم الساعة ؟
 بكنجهام : توشك أن تدق العاشرة .
 الملك رتشارد : دعها تدق .
 بكنجهام : لم تقول هذا ؟
 الملك رتشارد : لأنك ، كشخص الساعة ، تدأب على التراجع
 بين توسلك وما أنا مستغرق فيه من التفكير .
 وليس بي اليوم رغبة فى العطاء .
- ١١٥ بكنجهام : فهلا تفضلت فأرحت بالى وأجبتنى إلى طلبى .
 الملك رتشارد : إنك تضايقتنى . ليس بي اليوم رغبة .
 (يخرج الجميع ما عدا بكنجهام)
 بكنجهام : أهكذا—يجزىنى عن خدمتى المخلصة بمثل هذا الازدراء ؟
 ألهذا جعلته ملكا ؟
 فليكن لى عبرة فى مصرع هيستنجز ولأرحل إلى
 « بركنكوك »^(١)
- ١٢٠ قبل أن يهوى رأسى الملىء بالخاوف .
 (يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

المنظر نفسه

(يدخل تيرل)

تيرل

: لقد تمت الفعلة الأثيمة ،

أبشع ما اقترفته هذه اليد

من مذابح مفجعة ،

لقد بكى ديتون وفورست .

الاذان عهدت إليهما اقتراف تلك المجزرة الفظيعة ؛

بكيا كالأطفال ، وذابا من الرحمة والعطف ،

وهما يقصان على ما فعلا .

رغم أنهما وغدان ضاريان ككلاب الصيد .

« وقال ديتون : انظر ! هكذا كان ينام هذان

الطفلان الوديعان »

« وقال فورست : هكذا ، هكذا . متعاقبين .

١٠

بأذرعهما الممرية البريئة :

وكانت شفاهما ، كوردات أربع على أعوادها ،

تقبل كل أختها ، وقد خلع الصيف عليها جماله .

وكان على وسادتهما كتاب صلاة ،
وقد أوشكت أن أتحوّل عن عزمي ،
حين رأيت أحدهما . ولكن يا للشيطان . . . »
وهنا توقف الشرير
على حين واصل ديتون الحديث قائلاً :
« وهصرنا غصن أكل ما أبدعته الطبيعة منذ
أقدم العصور »

١٥

٢٠

وامتلأت نفساهما بالحسرة والندم ،
فلم يستطيعا أن يفيضا في الحديث .
وهكذا تركتهما لأحمل النبأ إلى الملك السفاح .
وها هو ذا قد أقبل .

(يدخل الملك رتشارد)

سلاماً أيها الملك

الملك رتشارد : عزيزي تيرل ! ألدبك من الأنباء ما يسعدني ؟
٢٥ تيرل : إن كان يسعدك اقتراف ما أمرتني به ،
فأنت تستطيع أن تسعد ؛ إذ قد تم ما أردت
يا مولاي .

الملك رتشارد : ولكن هل تحققت بنفسك من موتهما ؟
تيرل : أجل يا مولاي

- الملك رتشارد : ودفنا يا عزيزى تيرل ؟
- تيرل : لقد دفنهما قسيس البرج ،
- ٣٠ ولكنى لا أعلم عن يقين كيف ولا أين .
- الملك رتشارد : تعال إلىّ يا تيرل ، بعد العشاء .
- فقص على كيف قتلا ،
- ولا يخامرك شك فى أنى سأجزيك ، وأجقق لك أمانيك .
- فإلى اللقاء بعد حين .
- ٣٥ تيرل : إنى لأرجو خاشعاً أن تأذن لى بالخروج .
- (يخرج)
- الملك رتشارد : لقد حبست ولد كلارنس بمعزل عن الناس ،
- وزوجت ابنته ، فى غير ما تورع ، لغير كفو ،
- بينما ينام ولدا إدورد فى أحضان الموت .
- وقد ودعت زوجى آن هذه الحياة الدنيا .
- والآن فلأذهب إلى ابنة أخى إلزابث الصغيرة
- ٤٠ خطيباً موفقاً سعيداً .
- فإنى أعلم أن ريتشموند - فى مقامه ببريتانى -
- يفكر فى زواجها ليستطيع بهذا الصهر
- أن يتطلع فى اعتزاز إلى التاج .
- (يدخل كاتسبى)

ف ؛

١٨٠

مولاى : كاتسي

٥ ؛ الملك رتشارد : بأخبار طيبة، جئت هكذا فجأة، أم بأخبار سيئة ؟

كاتسي : سيئة يا مولاى . فقد فرَّ «إيلي» إلى ريتشموند،

وعباً بكنجهام قواته ، يعينه رجال ويلز الأشداء ؛
ولا تزال قوته فى ازدياد .

الملك رتشارد : إن إيلي وريتشموند يثيران قلتي ،

أكثر مما يثيره بكنجهام وجيشه ، هذا الذى
أعدّه على عجل .

• •

هيا — فإن التدبر الملىء بالخبين ،

خادم أمين للتسويق الأحمق ،

والتسويق يقود إلى العجز الذى يمضى فى بطء
كالسلفحفاة .

فلتكن السرعة الحافظة جناحي ؛

سرعة رسول « جويتر » لتعلن مقدم الملك !

• •

إن درعى هو مشيرى — فهيا اجمع لنا رجالا ،

فما ينبغى أن نضيع وقتا، والحنونة فى ساحة المعركة .

[يخرجان]

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر

(تدخل الملكة مرجريت)

الملكة مرجريت : الآن أوشكت السعادة أن تبلغ أقصاها ،

وتسقط في فم الموت العفن .

لقد تربصت في معتزلي هذا

لأرغب أفول نجم أعدائي .

وهأنذا أشهد البداية المريرة .

٥

وسأرحل إلى فرنسا راجية أن تكون الخاتمة مثلها ،

مرة ، سوداء ، قاصمة

فلترحل الآن مرجريت الشقية . من القادم ؟

(تدخل الملكة إليزابيث ودوقة يورك)

الملكة إليزابيث : واحسرتاه على أميرى الصغير ! واحسرتاه على

طفلى الرقيقين !

يا زهرنى اللتين لم تمهلا حتى تنفتحا، أى برعى الغضين !

١٠

إن كان روحا كما الوديعان لا يزالان يطيران في الهواء ،
قبل أن يدخلوا إلى عالم الموتى الأبدى ،
فأخفقا بأجنحتكما اللطيفة من حولي ،
واسمعا نواح أمكما .

١٥ الملكة مرجريت : أخفقا حولها ، وقولا لها إن القصاص العادل
قد أحال صباحكمما الوليد إلى ليل طويل .

الدوقة : لقد سلبتني المصائب الكثيرة صوتي
حتى خرس لساني الذي أنقله الحزن ،
أى إدورد بلانتاجنت ، لماذا مت ؟

٢٠ الملكة مرجريت : بلانتاجنت باء بدم بلانتاجنت !
ومات إدورد قصاصا لموت إدورد .

الملكة إلزابث : رباه ، كيف تخليت عن ذينك الحملين الوديعين
ورميت بهما في أحشاء الذئب ؟

متى نمت ، يارب من قبل لتنام حين اقترف ذلك الإثم ؟

٢٥ الملكة مرجريت : حين قُتل هارى الطاهر ، وولدى العزيز .

الدوقة : أيتها العينان الكفيفتان ، أيتها الحياة الميتة .

يا شبعا لا يزال يعيش بين الأحياء ،
يا صورة البؤس ويا خزي الحياة ، ويا من

يغتصب بقاؤك على قيد الحياة من القبر بعض حقه ،
ياسجلا دونت فيه أيام الشقاء في اختصار وغموض ،
أريحي نفسك المجهدة على أرض إنجلترة ، التي
كانت ذات قانون ،
فأصبحت — رغم القانون — غمورة بدماء الأبرياء

٣٠

(تجلس)

الملكة إلزابث : آه أيها الأرض! لو أنك تقيلين على تهيئة القبور للناس ،
إقبالك على تهيئة مجالس الأحزان ،
إذن لقمبرت فيك عظامي ، بدلا من أن أريحها
بجلستي هذه ،
آه ، أين من هو أجدر بالحزن مني !

(تجلس)

الملكة مارجريت : إن كان لحزن أن يستمد من قدمه جلالا يفوق
به سائر الأحزان .

٣٥

فدعى حزني يأخذ المركز الأول ،
لتكن لشكائي المكاانة العليا ،
وإن كان لحزن أن يجد رقة في أحزان الآخرين ،

(تجلس معهما)

- فانظرا إلى شقائي تجدا فيه شفاء كما .
- ٤٠ لقد كان لي إدورد^(١) حتى قتله رتشارد
وكان لك هاري^(٢) حتى قتله رتشارد
وكان لك إدورد^(٣) حتى قتله رتشارد
وكان لك رتشارد^(٤) حتى قتله رتشارد
- البوقة : لقد كان لي أنا كذلك رتشارد فقتلته أنت ؛
- ٤٥ ولا يزال لي « روتلاند »^(٥) وتأملين أن تقتليه .
- الملكة مرجريت : لقد كان لك كذلك كلارنس وقتله رتشارد
لقد حبا ، من حظيرة رحمك ،
كلب من كلاب الجحيم ، يطاردنا جميعا حتى الموت .
كلب نمت أنيابه قبل أن تتفتح عيناه ،
٥٠ ليمزق الحملان . ويلعق دماءها البريئة ؛
ويشوه ما صنع الله ويدنسه .

(١) ابن هنرى السادس .

(٢) هنرى السادس من زوجها .

(٣) إدورد الخامس .

(٤) دوق يورك الصغير .

(٥) روتلاند . Rutland

جبار فى الأرض تذلل له العيون ،
 التى قرحها البكاء ، مما يجد أصحابها من أمسى .
 لقد أطلقتته رحلك ليطاردنا إلى قبورنا .
 أيها الإله البرّ ، العادل ، المنتقم ،
 كيف أشكرك إذ هيأت للكلب الظالم إلى الدماء ،
 لينقض على ما أخرجته رحم أمه من نسل ،
 فتشارك الآخرين أناتهم !

٥٥

الديقة : أى زوج هارى ، لا تفرحى لبلواى ،

فالله يشهد لقد بكيت لبلواك .

٦٠

الملكة مرجريت : لا تضيقى بى فإنى ظمأى إلى الثأر ،

وأنا الآن أتختم نفسى برؤيته .

لقد مات ولدك إدورد الذى طعن إدورد ولدى .

ومات إدوردك الآخر ، ليكفر عن موت ولدى إدورد .

ولم يكن يزورك الصغير إلا مجرد تكملة للثأر ،

٦٥

فما كان كلاهما كفؤا لولدى الكامل .

ومات كلارنس الذى طعن ولدى إدورد .

أما هيستنجز الفاسق وريفرز وفوجان وجراى ،

أولئك الخونة الذين شهدوا تلك المأساة

٤ ف

١٨٦

فقد ألقى بهم في ظلمات القبر قبل الأوان .
ومازال رتشارد على قيد الحياة ،رسولا للجحيم الأسود ،
أبقى عليه ليقبض له الأرواح ويرسلها إلى هناك .
ولكن ما يستحق من نهاية أليمة موجعة ،جد قريب .
إن الأرض لتنشق ،والجحيم يتلظى ،والشياطين تزار
والقديسين يصلون ، ليعجل الله بالقضاء عليه .
يا رب يا كريم ، إني أبتهل إليك أن امح حياته
من كتابك حتى أعيش لأقول «لقد مات الكاب » !

٧٠

٧٥

الملكة الزايت : أو اه ! لقد تنبأت لي بأن سيجيء وقت
أسألك فيه أن تعينني

على لعنة تلك العنكبوت المتورمة ،
وتلك الضفدع السامة الحذباء .

٨٠

الملكة مرجريت : لقد قلت عنك حينئذ إنك مظهر فارغ من عزى ،
ودعوتك ظلا شاحبا ومجرد صورة للملكة ،
وخيالا لما كنته أنا ، في الحقيقة .

وصفحة براءة لمجد زائف .

٨٥

وامرأة قذف بها إلى القمة لتسقط إلى الأعماق .
وأماً سخر منها القدر فرزقها مجرد وليدين ،
وحلما من ماضيك ،

وهواء ، وفقاعة ، لها من المجد مجرد الرمز ،
وراية مزوقة يسدد كل الرامين سهامهم إليها ،
وملكة في مهزلة يتلهى بها الناس على المسرح .
أين زوجك الآن ؟ أين إخوتك ؟

٩٠

وأين ولدك ؟ أين سعادتك ؟
أين الذين كانوا يتوددون إليك ويهتفون لك
عاشت الملكة ؟

وأين النبلاء الخاضعون الذين كانوا يتملقونك ؟
وأين الجنود التي كانت تتبع وركبك ؟
تذكرى كل ذلك ، وانظري ما أنت عليه الآن .
لقد استحللت من زوج سعيدة إلى أرملة بائسة كل
البؤس ، ومن أم مريحة إلى امرأة يبكيها تذكريك الكلمة ،
ومن ملكة إلى أمة تاجها الشقاء .

٩٥

١٠٠

وبعد أن كان الناس يتوسلون إليك ، أصبحت
تتوسلين في ذل إلى الناس .
وبعد أن كنت تسخرين مني ، تسمعين الآن
سخرتي منك .

لقد أصبحت الآن تخشين بعض الناس بعد
أن كان الناس جميعاً يخشونك ،

- ١٨٨ ف ٤
ولم تعد لك طاعة على أحد بعد أن كان الجميع طوع أمرك.
هكذا دارت عجلة العدالة ،
- ١٠٥ وتركتك مجرد فريسة مسكينة للزمن ،
لا تملكين إلا ذكرى ماضيك ،
تريد من عذابك كلما قارنتها بحاضرك .
لقد اغتصبت مكافئ ، والآن أألت تريد
أن تغتصب من حزني ما هو أجل من منزلة كبيرة ؟
- ١١٠ الآن يحمل جيدك الصلف نصف نيري الثقيل ،
وهأنذا أزيح نصفه الآخر عن جيدي الضعيف
لأترك لك العبء كله .
وداعا يا زوج يورك ، يا ملكة المصائب الأليمة .
لسوف أبسم هذه الكوارث الإنجليزية في مقامى بفرنسا .
- ١١٥ الملكة الزايت : كم أنت بارعة في استئزال اللعنات .
فأبقى قليلا لتعلميني كيف أستنزها على أعدائي .
الملكة مرجريت : اسهرى الليل وصوى النهار ،
وقارني بين السعادة التي ماتت ، والشقاء الذي
ما زال يحيا ،
وتخيلي ولديك أجمل مما كانا ،
وأن قاتلهما أشنع مما هو في الحقيقة ،
- ١٢٠

فإنك حين تعظمين من شأن مصيبتك تزيدين
لعناتك سوءا .

وسيعلمك التفكير في ذلك كيف تستنزلين اللعنات .
الملكة إلزابث : إن كلماتي كلياة فزيديها مضاء وحدة بكلماتك .

١٢٥ الملكة مرجريت : سيجعلها شقاؤك حادة ماضية مثل كلماتي .
(تخرج)

الدوقة : لماذا نتشدد بالألفاظ عند حلول المصيبة ؟

الدوقة : إنها هواء ينفس عن أحزان أصحابها ،
وورثة الأفراح التي انقضت بلا إرث ،
وأنفاس تفصح عما في نفوسنا من شقاء !

١٣٠ فأفسحى المجال لها ، فلئن كان ما تقدمه لا غناء فيه ،
فإن فيها مع ذلك راحة للقلب .

الدوقة : إن كان الأمر على ما تذكرين فلا تحبسي
لسانك إذن ،

ولتنطلق أنفاسنا معا بالألفاظ المريرة
لنتخفق ولدى الرحيم كما خفق ولدك الجميلين .

١٣٥ إلى أسمع دقات طبوله ، فأفيض في الحديث عن أساك .
(يدخل الملك رتشارد يسير على قرع الطبول وصوت الأبواق)

٤ ف

١٩٠

الملك رتشارد : من يقطع علينا طريقنا ؟
الدوقة : إنها تلك التي كان ينبغي لها أن تقطع عليك الطريق ؛
بأن تخنقك في رحمها الرحيم ،
فلا تقترف ما اقترفت من مذابح وتجلب ما جلبت
من مأس .

١٤٠ الملكة مريريت : أغطي هذا الجبين بتاج ذهبي ،
وكان ينبغي - لو حق الحق - أن يكوى بالنار
لقتلك الأمير الذي كان هذا التاج من حقه ،
ولما أنزلت بولدى وإخوتي من ميتة قاسية .

نبئني أيها العبد الآثم - أين ولدأي ؟
١٤٥ الدوقة : أيتها الضفدع ، أيتها الضفدع ،
أين أخوك كلارنس وابنه الصغير «ند»^(١) بلانتاجنت ؟

الملكة إلزابيث : أين ريفرز الوديع ، وفاجان ، وجرأي ؟
الدوقة : أين هيستنجز الرحيم ؟
الملك رتشارد : انفخوا في أبواقكم يا حملة الأبواق !

ودقوا طبولكم يا حملة الطبول ، حتى لا تسمع
الساء تلكما المراتين الغامتتين
١٥٠ وهما تحملان على من باركه زيت الله المقدس .

قلت لكم انفضخوا - دقوا !

(أصوات أبواق وطبول)

إما إن تتجملا بالصبر وتحسنا الحديث إلى ،
أو أغرق صيحات شكوا كما هكذا في موسيقى
الحرب الصاخبة .

١٥٥ الدوقة

: أأنت ولدى ؟

: أجل ، بحمد الله . ولد أبى وولدك .

الملك رتشارد

: إذن فلتستمع إلى ما يعليه نفاذ صبرى فى شىء من الصبر

الدوقة

: سيدتى ، إن لى من طبعك نصيبا ،

الملك رتشارد

فلست أحتمل وقع التقريرع .

: أوه ! دعنى أنكلم !

الدوقة

تكلمى إذن فلن أسمع .

١٦٠

: سيكون كلامى رقيقا هادئا .

الدوقة

وسريعا يا أمى العزيزة ، فإنى فى عجلة ،

أو أنت فى عجلة ؟ يعلم الله ،

لقد بقيت طويلا من أجلك فى عذاب وألم وضنى .

: ثم ألم أولد لك فى النهاية لأكون سلوكك ؟

١٦٥ الملك رتشارد

: كلا وحق الصليب المقدس . فأنت تعلم ، حق العلم ،

الدوقة

أنك جئت إلى الأرض لتجعل لى من الأرض جحما

- لقد كان مولدك عبثاً أليماً على ،
 وكنت في طفولتك شكساً عنيداً ،
- ١٧٠ وكنت أيام دراستك مخوفاً، نزقاً، عنيفاً، وحشياً الطبع ،
 وفي أيام شبابك مندفعاً، مقتحماً، مولعاً بالمقامرة ،
 وفي رجولتك صلفاً، ماكراً، مخادعاً، محباً للدماء .
 ولئن كنت قد أصبحت أكثر رقة ، فلقد
 أصبحت مع ذلك أكثر إيذاءً ،
 ١٧٥ تلقى على بغضائك ستارا من الرحمة .
 فأى سلوى إذن تستطيع أن تزعم ، أنك قد
 منحتني بصحبتك ؟
- الملك رتشارد : لعمري ! إنها ليست إلا ساعة « همفري »^(١)
 التي ذهبت فيها لتناول عشائك فحرمت من صحبتي .
 إن كانت رؤيتي تسوؤك إلى هذا الحد
 فدعيني أمض حتى لا أسبب لك استياءً .
- ١٨٠ اقرعوا الطبول !

(١) اختلف النقاد في تفسير عبارة ساعة همفري اختلافاً شديداً ، والرأى المعقول أن شيكسبير استعمل هذه الكناية البعيدة إشارة إلى أولئك المتسكعين الذين كانوا لا يستطيعون أن يشتروا طعامهم أو يتسولوه فكانوا يتسكعون في صحن كنيسة القديس بطرس حيث قبر بوشان ، الذي آمن العامة أنه قبر همفري . ومن هنا ضرب المثل يتمشون مع دوق همفري .

١٩٣

٤ م

الدوقة : سألتك إلا سمعت كلامي
 الملك رتشارد : إن كلامك ليفيض مرارة
 الدوقة : اسمع مني كلمة واحدة ، فلن أتحدث إليك
 بعدها مرة أخرى .

الملك رتشارد : هكذا ؟
 ١٨٥ الدوقة : أجل ، فلما أن يقضى عدل الله أن تموت ،
 قبل أن تعود ظافرا من هذه الحرب .
 ولما أن يقضى على الحزن والشيوخوخة
 فلا أنظر إلى وجهك مرة أخرى .
 فأحمل معك إذن أشد لعناتي ، فتؤودك يوم المعركة
 أكثر مما يؤودك كل ما تتدرع به من عدة كاملة .
 ١٩٠ وستقاتل دعواتي إلى جانب أعدائك ،
 ويهمس حينئذ روحا ولدى إدورد الصغيرين ،
 إلى أرواح خصومك يعدانهم بالنصر والظفر .
 ١٩٥ إنك سفاح محب للدماء ،
 وبالدماء ستكون خاتمتك .
 لقد كان العار تابعاك في حياتك ، وسيصيبك
 ساعة موتك .

(تخرج)

الملكة إلزابث : إن لدى بواعث أقوى لكى أستنزل عليك

اللعنات ، ولكنى مع ذلك أجد بنفسى عزوفا

عنها . فحسبى أن أومن على جميع دعواتها

٢٠٠ الملك رتشارد : انتظرى يا سيدتى ، فلى معك كلمة .

(ينتهى بها جانباً)

الملكة إلزابث : إئننى لم يعد لى أبناء من دم ملكى لتقتلهم .

أما بناتى ، أى رتشارد ، فسيكن راهبات

متبتلات

لا ملكات باكيات ، فلا تسدد سهامك لتغتال

حياتهن .

الملك رتشارد : إن لك ابنة طيبة جميلة تدعى إلزابث ،

نبيلة من دم ملكى

٢٠٥

الملكة إلزابث : أومن أجل هذا يجب أن تموت ؟

أواه ! دعها تعيش وسأفسد خلقها ، وأشوه جمالها ،

وأجلل نفسى بالعار ، فأزعم أنى خنت فراش إدورد ،

وألقي على ابنتى قناعاً من الخرزى ،

لكى تعيش فى مأمن من المدبحة الدامية .

٢١٠

سأعلن أنها ليست ابنة إدورد .

الملك رتشارد : لا تظلمى نسبها فإنها من دم ملكى .

- الملكة إلزابث : سأقول إنها ليست كذلك لآمن على حياتها .
- الملك رتشارد : إنما نسبها هو خير أمان لحياتها .
- ٢١٥ الملكة إلزابث : وبذلك الأمان وحده مات أخوها .
- الملك رتشارد : كلا فقد ولدا في ساعة نحس .
- الملكة إلزابث : ولكن أصدقاء الشر كانوا نحسا عليهما .
- الملك رتشارد : إن القدر المكتوب لا مفر منه .
- الملك رتشارد : ذلك حق حين يكون تجنب الخير هو الذى يملئ القدر .
- ٢٢٠ لقد كان من حق ولدى مية أكرم من تلك التى لقيها
لو أن الخير منحك حياة أكرم ،
- الملك رتشارد : إنك تتحدثين إلى كما لو كنت قد قتلت ابني أخي !
- الملكة إلزابث : ابني أخيك حقا ! وقد سلبهما عمهما
سعادتهما ، وملكهما ، وقرايتهما ، وحياتهما .
- لقد كان تدبيرك من وراء تلك اليد التى طعنت
٢٢٥ قلوبهما الغضين ،
- ولا ريب أن السكين القاتلة
كانت كليلة مثلومة .
- حتى أرهفت على قلبك الحجرى ،
لتعبت في أحشاء حملى الوديعين .
- على أن هذا الحديث المتصل عن الأسى يخفف من
٢٣٠ ضراوته .

فليسكت لساني عن الحديث ، عن ولدي ، إلى أذنك ،
إلى أن تعلق أظافري بعينيك ،
وأندفع فأتكسر بددا على قلبك الصخري ،
كزورق بائس فقد أسابه ، وشراعه ،
في بحر الموت الذي لا منجاة منه .

٢٣٥

الملك رتشارد : سيدتي ، فليكتب الله لي النجاح ، فيما أنا مقدم عاياه ،
من مغامرة خطيرة وحرب دموية ،
بقدر ما أبتغي لك ولبناتك من خير ،
وأعزف عن أن ألحق بكن أي ضرر .
٢٤٠ الملكة إلزابيث : ماذا يمكن أن يخفي وجه السماء من خير
تستطيع أن تكشف عنه لخيري ؟

الملك رتشارد : رقيّ بناتك يا سيدتي العزيزة .
الملكة إلزابيث : إلى بعض المشائق حيث تهوى رؤوسهن ؟
الملك رتشارد : بل إلى العزة ، والشرف الرفيع ،
٢٤٥ وأعلى شارة من شارات المجد في هذه الأرض .
الملكة إلزابيث : تملق أحزاني إذن وقل لي أي مكانة ،
وأى عزة وأى شرف
يمكن أن تمنحه لي بنت من بناتي ؟
الملك رتشارد : كل ما أملك ، حتى نفسي ،

- ٢٥٠ : سأمنحها لإحداهن ،
حتى يغرق ، في بحر النسيان ، روحك المغضب
تلك الذكرى الحزينة
لما تعتقدين أني اقترفته في حقك .
- الملكة إلزابث : عجل إذن ، حتى لا يستغرق حديثك عن عطفك ،
٢٥٥ أكثر مما يمكن أن يستغرق عطفك نفسه .
- الملك رتشارد : إذن فاعلمي أني أحب ابنتك من كل روحي .
الملكة إلزابث : ولكن أم ابنتي تعتقد من كل روحها . .
الملك رتشارد : ماذا تعتقدين ؟
الملكة إلزابث : إنك تحب ابنتي حبا
- ٢٦٠ بعيدا كل البعد عن روحك ؛ كما أحبيت أخويها ،
ومن جل ذلك أشكرك شكرا بعيدا كل البعد عن قلبي !
الملك رتشارد : لا تتعجلي وتسيئي فهم ما عنيت ،
لقد عنيت أني أحب ابنتك بكل روحي ،
وأريد أن أجعلها ملكة لإنجلترا .
- الملكة إلزابث : إذن فقل لي من هذا الذي تريده أن يكون
٢٦٥ ملكا لابنتي ؟
الملك رتشارد : ذلك الذي سيجعلها ملكة . ومن غيره ؟
الملكة إلزابث : ماذا ! أنت ؟

الملك رتشارد : نعم أنا . فما قولك يا سيدتى ؟

الملكة إلزابث : وكيف تستطيع أن تكسب رضاها ؟

الملك رتشارد : ذلك ما أريد أن أعلمه منك ،

فأنت أعرفُ الناس بطباعها .

الملكة إلزابث : أتريد حقا أن تعلم منى ؟

الملك رتشارد : من صميم قلبي يا سيدتى .

الملكة إلزابث : إذن فأرسل إليها مع من قتل أخويها ،

قليين داميين محفورا على أحدهما

٢٧٥

إسم إدورد ، وعلى الآخر اسم يورك .

ولعلها تبكى حينئذ . فأرسل إليها منديلا غمس

في دم روتلاندا ،

كما أرسلت مرجريت ، ذات مرة ، إلى أبيك ،

وقل لها إنه أشربَ عصارة الحياة الحمراء

من جسد أخيها الجميل ،

٢٨٠

واسألها أن تجفف به دموعها .

فلن عجز هذا الإغراء عن استمالة قلبها إليك ،

فأرسل إليها قصة أعمالك المجيدة ؛

وأنبأها أنك قتلت عمها كلارنس ،

ونحاهل ريفرز ، أجل ، ومن أجلها ، عجلت بموت

عمتها العزيزة آن .

٢٨٥

- الملك رتشارد : إنك تهزأين بي ، يا سيدتي .
- فليست هذه هي الطريقة التي بها أكسب رضى ابنتك .
- الملكة إلزابيث : ليست هناك طريقة أخرى ،
- إلا أن تصبح إنسانا آخر ،
- غير رتشارد الذى اقرف كل هذا . ٢٩٠
- الملك رتشارد : سأقول إنى اقترفت كل هذا من أجل حبها ،
- الملكة إلزابيث : كلا فإنها حينئذ لن تملك حقا إلا أن تكرهك ،
- إذ اشتريت هذا الحب بذلك الإثم الدموى .
- الملك رتشارد : اسمعى إن ما كان لا يمكن إصلاحه ،
- وسيفضل الناس يتصرفون أحيانا فى غير حكمة ٢٩٥
- ثم يندمون بعد حين على ما فعلوا .
- ولئن كنت قد انتزعت الملك من ولدك ،
- فلأعطينه لابنتك حتى أكفر عما فعلت .
- ولئن كنت قد قتلت ما أخرجت رحمتك ،
- فسأنجب أبناء من ابنتك ، ٣٠٠
- من دمك لأزيد من نسلك .
- وليس اسم الجدة ، بأقل إثارة للحب
- من اسم الأم الجميل .
- وسيكون أحفادك ، كأبنائك ، وإن جاءوا من نسلك ،

٤

٢٠٠

وسيرثون عنك طباعك ودمك ؛
وسيجي مولدهم مع ذلك المخاض الأليم نفسه ،
وستحتمل ابنتك من أجلهم تلك الآلام التي
احتملتها أنت ، عند مولدها .

٣٠٥

لقد كان أبنائك مثاراً لملاعبك في شبابك ،
أما أبنائي فسيكونون عزاء لك في شيخوختك .

إذك لم تفقدى إلا ابنتك الملك ،

٣١٠

وبهذا فقد ستصبح ابنتك ملكة .

إنني لا أستطيع أن أعوضك كما أحب ،
فاقبلي إذن ما أستطيع أن أمنحك من ود .
سيعود ابنك ، دوست ، سريعاً إثر هذه
المصاهرة الجميلة ؛

من تلك الأرض الأجنبية ، التي يستشعر فيها الخوف ،

٣١٥

ويحيا فيها حياة غير راضية ،

إلى حيث المناصب العالية والمجد العظيم .
وسيدعوه الملك في غير كلفة « يا أخى (١) »
إذ يدعو ابنتك الجميلة « يا زوجي » .

(١) لأنه أخو زوجه .

٢٠١

٤٢

وستكونين أنت مرة أخرى أم الملك^(١) .

٣٢٠

وتصلح السعادة المضاعفة

ما قوضته مصائب الزمن .

عجبا إن أماءنا أياما كثيرة سعيدة سنشهدها .

وستعود إليك تلك الدموع المسفوحة التي أرقها

بعد أن تستحيل إلى لآلىء من الشرق ،

٣٢٥

فتكون قد أكسبتك

من السعادة ربحا مضاعفا .

اذهي إذن يا أماء إلى ابنتك ،

اذهي وانتزعيها ، بمالك من تجربة ، من شبابها الخجول ؛

وهي أذنيها لسماع قصة الغزل من خطيبها .

٣٣٠

وألقي في قلبها الغص تلك الجذوة المتطلعة إلى الحكم المجيد .

حدثي الأميرة عن متع الزواج ،

وما فيه من ساعات حلوة هادئة .

وبعد أن تؤدب ذراعي هذه ،

ذلك الثائر الوضع ، بكنجهام ، الأحق ؛

٣٣٥

سأعود مكلا بالغار ،

لأقود ابنتك إلى فراش الظافر الا ،

(١) لأنها أم زوجه .

- وسأقص عليها قصة نصري ،
وستكون هي وحدها المنتصرة ، قيصرا فوق قيصرا !
٣٤٠ الملكة الزابث : ماذا أقول : أقول لها جاءك أخوأبيك خاطباً ؟
أو أقول لها عمك ؟
أو أقول لها من قتل أخويك وأخوالك ؟
بأى اسم يرضاه الله والقانون والشرف
وما في نفسها من حب ،
يمكن أن أغرى شبابها الرقيق بقبولك ؟
٣٤٥
الملك رتشارد : قولى لها إن في تلك المصاهرة سلامةٌ لإنجلترا .
الملكة الزابث : وستشترىها هي بحرب مقيمة أخرى .
الملك رتشارد : قولى لها إن الملك ، الذى يستطيع أن يأمر ، ينوسل إليك .
الملكة الزابث : لتفعل ما حرمه ملك الملوك ؟
٣٥٠ الملك رتشارد : قولى لها إنها ستكون ملكة عظيمة عزيزة .
الملكة الزابث : لتبكي هذا اللقب ، بعدُ كما تفعل الآن أمها ؟
الملك رتشارد : قولى لها إنى سأحبها حباً يدوم إلى الأبد .
الملكة الزابث : ولكن إلى متى يدوم ذلك اللقب ؟
الملك رتشارد : سيظل يستمد منها جمالا حتى نهاية حياتها الجميلة .
٣٥٥ الملكة الزابث : ولكن إلى متى تدوم حياتها الجميلة ؟
الملك رتشارد : إلى ما شاء الله وشاءت سنة الكون .

٢٠٣'

٤ م

- الملكة إلزابث : إلى ما شاء الجحيم وشاء رتشارد !
 الملك رتشارد : قولى لها إني ، وأنا ملكها ، أعتبر نفسى أحد
 رعاياها المخلصين .
- الملكة إلزابث : ولكنها - وهى رعيتهك - تنفر من هذا الملك .
 ٢٦٠ الملك رتشارد : نتمنى لها حديثك عنى .
- الملكة إلزابث : إن قول الحق ينبغي أن يكون بغير تنميق .
 الملك رتشارد : إذن فحديثها بغير تنميق حديث حبي ،
 الملكة إلزابث : إن قول الحق دون تنميق فيه كثير من القسوة .
 الملك رتشارد : إن حبججك ضحلة ، متسرفة إلى حد بعيد .
 ٢٦٠ الملكة إلزابث : بل هى عميقة أعظم العمق ، ساكنة أعظم السكون ،
 كقبر ولدى المسكينين الساكن العميق !
- الملك رتشارد : لا تضربنى على هذا الوتر يا سيدتى ، فذلك شئ مضمئ .
 الملكة إلزابث : بل سأضرب عليه حتى تنقطع أوتار قلبى .
 الملك رتشارد : بحق القديس جورج وشارة فروسيته وتاجى . .
 ٢٧٠ الملكة إلزابث : لقد دنست الأول ، وأخزيت الثانية ، واغتصبت
 الثالث
- الملك رتشارد : أقسم . . .
 الملكة إلزابث : لا تقسم شيئاً ، إذ ليس هذا بقسم .
 فإن القديس جورج الذى دنسته فقد قداسته ،

٤

٢٠٤

والشارة التي وصمتها بالخزى ، تخلت عن خلال
الفروسية الحميدة .

والتاج الذي اغتصبته أزرى بجلاله الملكي .
فإن كان لنا أن نصدق شيئاً تقسم به ،
فأقسم بشيء لم يصبه منك أذى .

٣٧٥

الملك رتشارد : إذن أقسم بنفسى .

الملكة إلزابث : لقد أسأت إلى نفسك .

الملك رتشارد : الآن أقسم بالعالم ،

الملكة إلزابث : الملىء بأثامك الشريرة

الملك رتشارد : وممات أبى .

الملكة إلزابث : لقد جللت حياتك مماته بالعار .

الملك رتشارد : إذن أقسم بالله ،

٣٨٥ : إن إثمك فى حق الله أكبر آثامك .

فلو خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به

لما انصدع ذلك الشمل الذى جمعه

أخوك الملك ، ولما قتل أخى .

ولو قد خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به

لازدانت وجنتى ولدى الغضتين بذلك التاج

الملكى الذى يزين الآن مفرقك ، ولكن الأميرين

لا يزالان هنا ، يتنفسان أنفاس الحياة ،

٣٨٥

بدل أن يكونا — كما هما الآن —

وسادتين رقيقتين للتراب ،

وفريستين للدود ، لحنثك بقسمك .

فهم تستطيع أن تقسم الآن ؟

بالمستقبل .

: ٣٩٠ الملك رتشارد

الملكة إلزابيث : الذى أئمت فى حقه بإثمتك فى حق الماضى ؟

إن دموى ستظل تذرف فى المستقبل

لما اقترفت من آثام فى ذلك الماضى .

فما زال الأبناء الذين قتلت آباءهم يعيشون ،

وسيبكون فى كهوتهم شبابهم المضيع .

٣٩٥

وما زال الآباء الذين قتلت أبناءهم يعيشون ،

كالنباتات الشائخة الذابلة .

يبكون مع شيخوختهم مصرع أبنائهم .

فلا تقسم إذن بالمستقبل ؛ فقد أسأت إليه

قبل أن تقدم إليه أى خير ، بما اقترفت فى الماضى .

٤٠٠

الملك رتشارد : فليكتب الله لى النجاح فيما أنا مقدم عليه من

حرب خطيرة مع الأعداء ،

بقدر نيتى الصادقة فى التوبة والفلاح .

ولتتحل بى اللعنة ، ثم لتتحل بى اللعنة ، وليكتب

ف ٤

٢٠٦

الله والأقدار على الشقاء ،
 وليحجب النهار عن نوره ، والليل راحته ،
 ولتقف كل أبراج النحس في سبيل كل عمل آتية ،
 إن لم أمنح ابنتك الأميرة الجميلة حبي القلبي ،
 وإخلاصى الصادق ، وودى البرىء !
 فهى قوام سعادتى وسعادتك ؛
 ومن دونها سيحل الموت ، والوحشة ، والخراب ، والدمار ،
 بهذه الأرض ؛ وبى وبك وبها ، وبكثير من
 المسيحيين الأتقياء .

٤٠٥

٤١٠

ولا يمكن اتقاء هذا
 إلا بتلك المصاهرة
 ولن يُتقى من دونها .
 لذلك كوئى لها يا أماء العزيزة
 — ولا بد أن أدعوك بهذا الاسم — شفيع حبي ،
 وذكرىها بما سأكون ، لا بما كنت ،
 وبما سأكون أهلا له ، لا بما أنا أهل له الآن .
 بصريها بما نحن فيه من حرج .
 وبضرورة هذا الزواج ،
 ولا تجعلى لحبك الأحق الغلبة على جسام الأمور .

٤١٥

٤٢٠

- الملكة إلزابث : أأستجيب هكذا لإغراء الشيطان ؟
 الملك رتشارد : أجل إذا أغراك الشيطان بالخير .
 الملكة إلزابث : أأنسى نفسى لكى أرضى نفسى ؟
 الملك رتشارد : أجل إذا كان فى ذكرك لنفسك ظلم لنفسك .
 ٤٢٥ : الملكة إلزابث : ولكنك قتلت ولدى !
 الملك رتشارد : ولكنى سأدفنهما فى رحم ابنتك ،
 حيث ينسلان فى ذلك العش التركى ^(١) من نفسيهما
 نفوسا تكون عزاءً جديدا لك .
 الملكة إلزابث : أأمضى لكى أكسب لك رضى ابنتى ؟
 ٤٣٠ : الملك رتشارد : لتصبحى بذلك أمًا سعيدة
 الملكة إلزابث : سأذهب . وأكتب سريعا إلى فأنبثك برأيها .
 الملك رتشارد : احملى إليها قبلة من حبي الصادق (يقبلها) وإلى اللقاء
 (تخرج الملكة إلزابث)
 أيها الحمقاء الغفور الساذجة المتقلبة !
 (يدخل راتكليف يتبعه كاتسبي)
 إليه ! ما وراءك من أنباء ؟
 ٤٣٥ : راتكليف : مولاي الأجل هناك عند الساحل الغربى

(١) يشير شيكسبير بذلك إلى العش الخرافى فى بلاد العرب الذى أحرقت فيه العنقاء فولدت بذلك عنقاء أخرى .

بمخر أسطول قوى ؛

وعلى شواطئنا يحشد كثير من أصدقائنا المتردين الجبناء
بغير سلاح ولا إرادة لصدّ ذلك الأسطول .
ويقال إنه بقيادة « ريتشموند »

وقد طوى أشرعته فى انتظار مقدم بكنجهام ،
ليرحب بهم ويعيهم على التزول .

٤٤٠

الملك رتشارد : فليمض أحد أصدقائنا على جناح السرعة إلى

دوق نورفوك

وليكن أنت يا راتكليف أو كاتسبى . أين هو ؟

كاتسبى : هأنذا يا مولاي

الملك رتشارد : كاتسبى طر إلى الدوق !

كاتسبى : سأذهب بأسرع ما يمكن

(إلى راتكليف) وأسرع أنت إلى سالسبورى ، ٤٤٥

فإذا بلغتها .

(إلى كاتسبى) أيها الوغد الغبي الأحمق ،

لم تقف جامدا هكذا بدل أن تذهب إلى الدوق ؟

كاتسبى : قل لى أولا يا مولاي الجليل

ما هى إرادتك السنية وماذا أبلغه عن جلالتك ؟

٤٥٠ الملك رتشارد : هذا حق يا عزيزى كاتسبى . قل له أن يجمع فى الحال ،

أكبر قوة يستطيع جمعها ،

ويلقاني سريعا في السلبورى

كاتسبي : سأذهب . .

(يخرج)

راتكليف : وماذا تريدنى جلالتك أن أفعل فى السلبورى ؟

٤٥٥ الملك رتشارد : عجباً ، وماذا تستطيع أن تفعل قبل أن أذهب أنا هناك ؟

راتكليف : لقد أهرثنى جلالتك أن أسبقك إلى هناك ؛

الملك رتشارد : لقد غيرت رأيي أيها السيد ،

(يدخل لورد ستانلى) ما لديك من أنباء ؟

ستانلى : ليس لدى أنباء طيبة يسرك سماعها يا مولاي ؛

ولكنها ليست غايةً فى السوء. ومالى بدمن ذكرها .

٤٦٠ الملك رتشارد : يا له من لغز ! ليست طيبة وليست سيئة !

لم تكلف نفسك هذا الالتواء الطويل ،

على حين تستطيع أن تقول ما لديك ، بأقصر طريق ؟

مرة أخرى ، ما لديك من أنباء ؟

ستانلى : إن ريتشموند على ظهر البحر .

٤٦٥ الملك رتشارد : فليغرق هناك ، وليركب البحر ظهره ،

ذلك الأفاق الرعديد ، ماذا يفعل هناك ؟

ستانلى : لا أعلم لى يا مولاي الجليل إلا بالحدس .

الملك رتشارد : قل ماذا تحدثس ، ماذا تحدثس ؟

ف :

٢١٠

ستائل : لقد حرضه دورست . وبكنجهام ، ومورتون

٤٧٠

على القدوم إلى إنجلترا ليطلب التاج لنفسه .
الملك ستائل : أو قد خلا العرش ؟ أو قد أغمد سيف الملك ،

أم مات الملك ، أم اختلعت أمور الدولة ؟

من هناك على قيد الحياة من ورثة يورك غيرى أنا ؟

ومن ملك إنجلترا غير وارث يورك العظيم ؟

٤٧٥

قل لى إذن ماذا يفعل فى البحر ؟

ستائل : إن لم يكن لما قلت ، فلا أستطيع يا مولاي أن

أحدث سببا آخر .

الملك رتشارد : لا تستطيع أن تحدثس إلا أن هذا « الويلزى »

قد جاء ليكون مولاك ؟

٤٨٠

أخشى أن تنتفض وتفر إليه .

ستائل : كلا يا مولاي الجليل ، فلا تسئ فى الظن .

الملك رتشارد : أين إذن جيشك ليصيده ؟

أين أجراؤك وأتباعك ؟

أليسوا الآن على الشاطئ الغربى

٤٨٥

ينزلون الثوار من سفنهم فى أمان ؟

ستائل : لا يا مولاي العزيز . إن أصدقائى فى الشمال .

الملك رتشارد : أصدقاء فاترون لرتشارد ! ماذا يفعلون فى الشمال !

٢١١

٤٢

في حين ينبغي أن يخدموا ملكهم في الغرب ؟
لأنهم لم يؤمروا بذلك يا مولاي الجليل ،
إلاذن لي ، فأجمع أعوانى ،
وأتلى جلالتك ،
في أى مكان وزمان تحب .

ستافى

٤٩٠

: نعم ، نعم ، لتذهب فتضم إلى ريتشموند ا
لن أثق بك أيها السيد .

الملك رتشارد

: مولاي الأجل - ليس هناك ما يدعوك إلى الريبة
في إخلاصى ،
فأ كنت يوما خائنا ، ولن أكونه .

ستافى

٤٩٥

: حسن - اذهب واجمع الرجال .
ولكن عليك أن تترك ابنك «جورج ستافى» رهينة هنا .
فإن لم تدم على ولائك كان رأس ابنك فى خطر .
: فليكن جزاؤه بقدر إخلاصى لك .
(يخرج) (يدخل رسول)

الملك رتشارد

ستافى

: مولاي الكريم ، بلغنى من بعض الأصدقاء ،
أن سير إدورد «كورتنى» وأخوه الأكبر الصلف
أسقف «إكستر» مع أعوان كثيرين
قد حشدوا قواتهم فى «ديفونشير»
(يدخل رسول آخر)

الرسول

: مولاي ، لقد حشدت أسرة «جلفورد» جيشها

• • • الرسول الثانى

وفي كل ساعة يهرع إلى الثائرين
كثير من الأعوان ، وتزداد قوتهم .
(يدخل رسول الثالث)

الرسول الثالث : مولاي ، أن جيش دوق بكنجهام الكبير . .
١٠ • الملك وتشارد : أغربوا عن وجهي أيها الغريبان !

لا شيء غير أغنيات الموت ؟ (يلطمه)
أخذ هذه حتى تجيئني بأنباء أطيب .

الرسول الثالث : إن الأنباء التي أحملها إلى جلالتك
هي أن السنيول المفاجئة ، والأمطار الغزيرة
قد فرقت شمل جيش بكنجهام . ١١٥

وهام على وجهه وجيدا إلى حيث لا يعرف أحد .
الملك وتشارد : سألتك الصفح ! هاك كيسى ليشفى لطمتك .
هل أعلن أحد من أصدقائنا الحصفاء
عن جائزة لمن يأتي بالخائن ؟

٢٠ • الرسول الثالث : لقد تم ذلك يا مولاي .
(يدخل رسول آخر)

الرسول الرابع : بلغني يامولاي أن سير توماس لوفل والمركيز دورست
قد حشدا قواتهما في يوركشير .
ولكني مع ذلك أحمل أنباء أخرى تسر جلالتك .
فقد شتت العاصفة أسطول بريتانى .

٢١٣

٤ م

وأرسل ريتشموند زورقا إلى شاطئ دورستشير^(١)

٥٢٥

ليسأل من هناك هل هم من أنصاره .

فكان جوابهم أنهم قد جاءوا

مع جيش بكنجهام لنصرته ؛

ولكنه لم يثق بهم ،

ونشر أشرعته ، وعاد إلى بريتانى .

٥٣٠

: إلى الأمام ، إلى الأمام ، مادنا قدسنا للحرب !

الملك رتشارد

إن لم يكن لقتال أعدائنا من الأجانب ،

فلكى نقضى على هؤلاء الثوار فى أرض الوطن .

(يمود كاتسى)

: مولاى - لقد قبض على دوق بكنجهام .

كاتسى

وهذا خير ما عندى من أنباء .

٥٣٥

ولكن لدى أنباء أخرى غير طيبة .

فقد نزل إيرل ريتشموند مع قوة كبيرة فى «ملفورد»^(١) .

: إلى سالسبورى ! فربما تقرر هناك

الملك رتشارد

مصير معركة فاصلة بينما نتحاور نحن هنا .

وليأمر أحدكم أن يحمل بكنجهام إلى سالسبورى

٥٤٠

وليجلس سائركم معى .

(أصوات أبواق . يخرجون)

(١) دورستشير Dorsetshire

(١) ملفورد Milford

الفصل الرابع المنظر الخامس

بيت لورد ستانلي

(يدخل لورد ستانلي وسير كريستوفر ايرسويك وهو قيس)

ستانلي : أرى سير كريستوفر ، بلغ هذا عني إلى ريتشموند
أن ابني ، جورج ستانلي ، سجين
في حظيرة ذلك الخنزير البري السفاح
فيذا ثرت طاحت رأس جورج ،
وهذا ما يمنعني أن أقدم إليه الآن ما في طاقتي من عون ؛
فامض أنت لسبيلك ، وبلغ سلامي لعظمتي ،
وقل له إن الملكة قد وافقت من قلبها
على خطبة الملك لابنتها .

ولكن قل لي ، أين الأمير ريتشموند ؟

١٠ كريستوفر : في «بمبوك» ، أو « هارفورد وست » ، في « ويلز » .

دورست : ومن معه من أعلام للرجال ؟

كريستوفر : سير « ولتر هربرت » وهو محارب مغوار ،

وسير « جلبرت تالبوت » وسير « وليام ستانلي »

٢١٥

٥ ٢

« وإيرل أكسفورد » و « إيرل بمبروك » ملقى الرعب
في القلوب .

« وسير جيمى بلنت » « وريس آب توماس » ، مع
جماعة من المقاتلين الشجعان .

١٥

وكثير غيرهم من ذوى الشهرة والقدر .

وهم الآن في طريقهم إلى لندن

إن لم يصددهم عنها أحد .

: عد إلى مولاك وأبلغه تحياتي ،

ستال

وسيعرف رأيي من هذه الرسالة ،

٢٠

إلى اللقاء .

(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سالسبورى — ساحة كبيرة

(يدخل قائد الشرطة وبكنجهام مع حملة الرياح فى طريقه إلى الإعدام)

- | | |
|---------|---|
| بكنجهام | : أيرفض الملك رتشارد أن أتحدث إليه ؟ |
| القائد | : أجل يا سيدى اللورد الكريم فتجمل بالصبر . |
| بكنجهام | : أى هيستنجز ، أى ولدى إدورد ، أى ريفرز وحرى |
| | أيها الملك القديس هنرى ، وابنه الجميل إدورد ، |
| | أى فوجان ، أى جميع من أصابهم |
| | الظلم الدنىء والدسائس الخسيسة ، |
| | فلتسخر ، من مصرعى بدافع الانتقام ، |
| | أرواحكم الساخطة القلقة ، |
| | إن كانت تنظر الآن إلى من خلال السحب . |
| ١٠ | أليس اليوم يا صاحبي يوم « جميع الأرواح » ^(١) ؟ |

(١) يوم يحتفل فيه بذكرى الموتى .

- الضابط : أجل يا سيدى
بكنجهام : إذن فهو يوم مصرعى .
- ١٥ : إنه اليوم الذى سألت الله أمام الملك إدورد أن يقضى علىّ فيه إن خنت أطفاله أو شيعة زوجه .
إنه اليوم الذى سألت الله فيه أن تقتلنى خيانة من أوليه كل ثقتى ،
إنه « يوم جميع الأرواح » لنفسى المرتاعة ،
إنه اليوم المحتوم الذى تنتهى فيه آثامى .
- ٢٠ : لقد قذف الله العليم بدعواتى الكاذبة على رأسى قصاصا من استخفافى به .
واستجاب فى جد لما سألته إياه فى عبث .
وهكذا يجبر سيوف الأشرار أن تتحول أسننها إلى صدور أصحابها .
- ٢٥ : الآن حلت علىّ لعنة مرجريت الثقيلة حين قالت :
« وسينفطر قلبك مما يصيبك به من أسى » .
ولسوف تذكر أن مرجريت كانت تحسن التنبؤ هيا أيها الضباط امضوا بى إلى قطع العار ،
فالظلم لا يورث إلا الظلم ، والقتل يستتبع القتل .

الفصل الخامس

المنظر الثاني

المعسكر قرب تامورث Tameorth

(يدخل ريتشهوند وأكسفورد وهربرت وآخرون بالطبول والأعلام)

ريتشهوند : يا رفاق الحرب . ويا أوفى الأصدقاء ،

يا من قرّحهم حمل نير الطغيان ،

لقد أبعدنا في أحشاء هذه الأرض

دون عائق ، وها نحن أولاء

قد تلقينا كتابا من أبينا^(١) ستانلي ،

فيه كثير من الطمأنينة والتشجيع .

إن ذلك الخنزير البري الشقي السفاح المغتصب ، ذلك

الذي نهب حصاد حقولكم الصيفي ، وكرمكم المثمرة ،

وأراق دماءكم الحارة كأنها مياه يغسل بها يديه .

(١) زوج أمه

٢١٩

واتخذ لنفسه حوضاً من ماء صدوركم الصادية ،
إن ذلك الخنزير القذر يقيم الآن — فيما بلغنا —
في قلب هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لستر ،
وليس بين « تامورث » وتلك المدينة إلا مسيرة يوم .
فسيروا باسم الله أيها الأصدقاء الشجعان ،

أمتحنوا ، بمحنة حرب دموية واحدة ،
ثمار السلام الدائم .

أكسفورد : إن ضمير كل منا يقوم في قتال ذلك السفاح
مقام ألف سيف !

هربرت : ليس لدى شك في أن أصدقاءه سينقلبون عليه
وينحازون إلينا .

٢٠ بلنت : إنه لا أصدقاء له إلا أصدقاء الخوف .
وسيهجرونه في أخرج ساعاته .

ريتشموند : إن كل شيء يُعيننا فباسم الله سيروا ،
إن الأمل الصادق سريع يطير بجناحين ؛
إنه يصنع من الملوك آلهة ، ومن العامة ملوكا .

(يخرجون)

٢٢

١٠

١٥

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ساحة المعركة في بوسورث (Boworth)

(يدخل الملك رتشارد في سلاحه مع نورفوك وإيرل سري وآخرون)

الملك رتشارد : انصبوا خيامنا في هذا المكان . بل هنا في ساحة

بوسورث

أى سري ، لم تبدو هكذا عظيم الاكتاب ؟

سري : إن قلبي أشد بهجة من وجهي بكثير !

الملك رتشارد : أى سيدى اللورد نورفوك !

نورفوك : لبيك مولاي الأجل !

الملك رتشارد : أى نورفوك ، لا بد لنا أن نلقى شيئا من اليأس ،

أليس كذلك ؟

نورفوك : لا بد لنا أن نعطي ونأخذ يا مولاي العزيز .

الملك رتشارد : هلا أقمت خيمتي ! فسامضى هنا الليلة .

أما غدا ، فأين ؟ سيان .

ولكن دعونا من هذا . من منكم استطلع عدد الخونة ؟

١٠ نورفوك : ستة آلاف أو سبعة على الأكثر

الملك وتشارد : إيه . إن جيشنا يبلغ ثلاثة أمثال هذا العدد ؛
ثم إن اسم الملك قوة كالحصن وهي تنقص العدو .
أقيموا خيمتي هنا ، هيا أيها الرجال الشجعان ،
دعونا ندرس ساحة المعركة .

١٥

ادعوا بعض الرجال من ذوى الخبرة ،
وليكن النظام والسرعة رائدنا ،
فإن غدا أيها اللوردات سيكون يوما حافلا .

(يدخل من الجانب الآخر من الساحة ريتشموند وسيروليم براندون
واكسفورد وآخرون ينصب بعض الجنود خيمة ريتشموند)
ريتشموند : لقد غربت الشمس المنهكة . فى شفق ذهبي .
وخلفت عربتها النارية وراءها
طريقا ممتلئا يؤذن بغد مشرق .

٢٠

أى سيروليم براندون ، ستكون أنت حامل علمي .
اقتوا إلى خيمتي ببعض المداد والورق ،
لأرسم خطة المعركة التى سنخوضها وسيرها ،
وأحدد لكل قائد عمله .

٢٥

وأقسم جيشنا الصغير قسمة مناسبة ،
أما أنت يا سيدى اللورد أكسفورد ، وأنت
يا سيروليم براندون^(١) ،

- وَأَنْتِ يَا سِير وَلْتِ (١) هَرِبْتِ ، فَاَبْقُوا مَعِي .
 وَلِيَبْقِ لِيَرْلِ بِمَبْرُوكِ (٢) مَعَ كَتِيبَتِهِ .
- ٣٠ وَلِيَحْمِلْ إِلَيْنَا كَابِتْنِ بَلَنْتِ الْكَرِيمِ تَحِيَّيْ ،
 وَيَبْلُغْهُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى فِي نَحِيمَتِي ،
 فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ صَبَاحًا .
- وَلَكِنْ ، بَقِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ يَا عَزِيزِي بَلَنْتِ ،
 نَقُولُهُ لِي قَبْلَ أَنْ تَذْهَبَ ،
 أَتَعْلَمُ أَيْنَ يَعْسُكِرُ اللَّوْرْدُ سَتَانْلِي ؟
- ٣٥ بَلَنْتِ : إِنْ فَرَقْتَهُ — إِنْ لَمْ أَكُنْ أَخْطَأْتُ أَعْلَامَهُ ،
 وَمَا أَظُنِّي فَعَلْتُ ،
 تَرَابِطُ جَنْوِبًا عَلَى بَعْدِ نَصْفِ مِيلٍ عَلَى الْأَقْلِ ،
 مِنْ قُوَّةِ الْمَلِكِ الْحَاشِدَةِ .
- رِيْتَشْمُولْد : إِنْ اسْتَطَعْتُ دُونَ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ لِلْخَطَرِ ،
 ٤٠ أَيْ بَلَنْتِ الْعَزِيزِ ، فَبْلُغْهُ تَحِيَّائِي
 وَاحْمِلْ إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْخَطِيرَةِ .
- بَلَنْتِ : قَسَمًا بِحَيَاتِي لِأَفْعَلَنَّ يَا مَوْلَايَ .

(١) وَلْتِ هَرِبْتِ Walter Herbert

(٢) بِمَبْرُوكِ Pembroke

والآن طابت ليلتك !

رثشونك : طابت ليلتك يا عزيزي الكابتن بلنت .

٤ هـ هيا أيها السادة ، دعونا نتدبر أمر الغد ،

هيا ، ادخلوا إلى خيمتنا فالهواء بارد رطب .

(يدخلون الخيمة)

(يدخل الملك رثشارد إلى خيمته مع نورفوك وراكليف وكاتسبي وآخرون)

الملك رثشارد : كم الساعة ؟

كاتسبي : إنها ساعة العشاء يا مولاي ، التاسعة .

الملك رثشارد : لن أتعشى الليلة .

هـ هـ علىّ ببعض المداد والورق .

أأصلحت خوذتي ،

ووضع سلاحى جميعه فى خيمتى ؟

كاتسبي : أجل يا مولاي . لقد أعدّ كل شىء

الملك رثشارد : أى عزيزى نورفوك ، أسرع إلى شأنك

هـ هـ ولا تغفل عن الحراسة ، واختر حراسا تثق بهم .

نورفوك : سأذهب يا مولاي

الملك رثشارد : استيقظ غدا مع الطير يا عزيزى نورفوك .

نورفوك : اطمئن يا مولاي .

الملك رثشارد : كاتسبي !

ف هـ

٢٢٤

مولاي !

: كاتسبي

٦٠ الملك رتشارد : أرسل رسولا رسميا مسلحا
إلى كتيبة ستانلي ليسأله أن يقدم بقوة قبل مطلع
الشمس ،

وإلا سقط رأس ابنه جورج
في كهف الليل المظلم الأبدى . (يخرج كاتسبي)
املا إلى قدحا من النبيذ ، وآتني بساعة (١) ،
وأسرج جوادى الأبيض ، « سرى » لمعركة الغد .
وأعد لى رماحا سليمة غير بالغة الثقل . .
راتكليف !

٦٥

راتكليف : مولاي ؟

الملك رتشارد : أرايت لورد نورثمبرلاند ذلك الكتيب (٢) ؟

٧٠ راتكليف : لقد كان يطوف بالجيش ساعة الغسق ،
هو وإيرل سرى ينتقل من فصيلة إلى فصيلة ،
ليستثير حماسة الجنود .

(١) المقصود بالساعة هنا شعبة مقسمة إلى أقسام تحترق في وقت معلوم .

(٢) لورد نورثمبرلاند (Northumberland) ساء رتشارد الكتيب لأنه لم ينصر قضيته

٢٢٥

٣٢

الملك رتشارد : هذا يرضيني . أعطني قدحا من النبيذ

فإني ، على غير عادتي ، مثقل مهموم

ضعها . هل أعددت المداد والورق ؟

٧٥

راتكليف : أجل يا مولاي .

الملك رتشارد : مُرّ حرسى أن يشددوا الحراسة . اتركوني الآن

وعد أنت يا راتكليف إلى خيمتي ، قرب منتصف الليل ،

لتعني على ارتداء دروعي . قلت لكم اتركوني .

(يخرج راتكليف ويدخل رتشارد إلى خيمته)

(يدخل دوبي إلى ريتشموند في خيمته والنبلاء وغيرهم ماثلون في

حضرته .)

٨٠ دوبي : قام اليمين والنصر على خوذتك .

ريتشموند : منحك الليل البهيم

كل راحته يا أبانا النبيل .

قل لي ، كيف حال أمانا الحبيبة ؟

دوبي : لقد سألتني أن أباركك عنها ،

وهي تدعو دواما لريتشموند بالخير .

٨٥

ولكن دعنا من هذا . لقد تسلت الساعات في صمت

وبدأت الظلمات تتصدع في الشرق ،

وصفوة القول أن الوقت يقتضي

ف هـ

٢٢٦

أن تعجل بالتأهب للمعركة في الصباح الباكر ،
وأن تتخذ من الطعنات الدامية والقتال المميت
حكما يقرر مصيرك .

٩٠

أما أنا فلإني لم أقدم عندما كنت أستطيع ،
فكيف بي إذا كان ما أتمناه لا أستطيعه ؟
على أني سأتحين الفرصة للتحايل على الزمن
وآتي

لنجدتك في تلك المعركة التي لا يمكن أن يجزم
بنتيجتها أحد .

٩٥

وددت لو استطعت أن أجهر بمناصري لك .
ولكن أخشى أن ينكشف أمرى ،
فيقتل أخوك ، الغضب الإهاب ، جورج ، في
حضرة أبيه .

إلى اللقاء ، فإن ضيق الوقت وحرجه ، لا يسمحان
بإظهار آيات الود وعهوده ، ولا بالاسترسال
في تبادل الحديث العذب ،

١٠٠

الذى يتوق إليه صديقان افترقا طويلا
ألا فليمنحنا الله فسحة من الوقت ، نقيم فيها شعائر
الود هذه .

٢٢٧

٣ م

وأقول لك مرة أخرى ، إلى اللقاء . ولتكن مقداما ،
وليكتب الله لك النصر .

ريتشموند

: أيها السادة الأعزاء رافقوه إلى كتيبتهم ،
وسأحاول — على ما بي من قلق — أن أحتل شيئا
من نوم خفيف ،

١٠٥

حتى لا يؤودنى النوم الثقيل في الغد ،
على حين ينبغي أن أطيّر حينئذ يجنّاحي النصر .
ومرة أخرى أقول لكم طابت ليلتكم أيها النبلاء والسادة
الأعزاء .

(يخرجون ويركع ريتشموند) .

رباه ، يا من أعد نفسي قائد جنده ،

ارح ، بعينك الرحيمة ، جنودي :

١١٠

وضع في أيديهم سيوف غضبك القاطعة ،

ليسحقوا بضرباتها الثقال ،

خوذات أعدائنا الغاصبين :

وُطِّحوا بها إلى الأرض

واجعل منا رسل عقابك لنحمدك عند النصر !

١١٥

إليك أسلم نفسي اليقظي ،

قبل أن يسدل النوم ستاره على عينيّ ،

فاحرسنى فى نومي ويقطى .

(ينام) (يظهر شيخ الأمير إدورد ولد هنرى السادس بين الخيام)

: (إلى رتشارد) فلاجئمن على روحك غدا

الشيخ

أتذكر كيف طعنتنى فى ريعان شبابى فى توكسبرى ؟

١٢٠

فليحل بك اليأس والموت ، إذن !

(إلى ريتشموند) تشجع أى ريتشموند ، فإن أرواح القتلى

من الأمراء المظلومين تقاتل معك ،

أنا ولد الملك هنرى ، جئت ألقى فى نفسك الطمأنينة .

(يحنى) (يظهر شيخ هنرى السادس)

: (إلى رتشارد) لقد أثخنت جسدى بطعناتك القاتلة

الشيخ

قبل أن أنتقل إلى دار الخلود .

١٢٥

فليحل بك اليأس والموت .

أنا هنرى السادس أبشرك باليأس والموت .

(إلى ريتشموند) أيها التقى الطاهر ، فليكتب لك النصر .

أنا هارى — الذى تنبأ لك بالملك —

١٣٠

جئت اطمئنتك فى منامك . فانتعش واتسعد .

(يظهر شيخ كلارنس)

: (إلى رتشارد) فلاجئمن على روحك غدا .

الشيخ

أنا كلارنس المسكين الذى قتلته خيانتك ،

٢٢٩ -

٣٢

وغسلته في التبيد الكثيف ،

اذكرني غدا في المعركة ،

١٣٥

وألقى من يدك سيفك المثلوم ، وليحل بك اليأس والموت !

(إلى ريتشموند) أى سليل لانكستر ،

إن ورثة يورك ، الذين ظلموا ، يصلون من أجلك :

فلتحرسك في قتالك الملائكة الأخيار ! ولتسعد !

(تظهر أشباح ريفرز وجرى وفوجان)

: (إلى رتشارد) فلاأجثمن على روحك غدا !

١٤٠ شيخ ريفرز

أنا ريفرز قتيل بومفرت ؛ فليحل بك اليأس والموت .

: (إلى رتشارد) اذكر جرى ، وليحل بروحك اليأس

شيخ جرى

: (إلى رتشارد) اذكر فوجان ، ولتصيبك خطاياك بخوف

شيخ فوجان

يلقى رحلك من يدك ،

وليحل بك اليأس والموت .

: (إلى رتشموند) انهض ! واذكر أن ما اقترف رتشارد

الجميع

في حقنا من ظلم

١٤٥

يشوى في صدره ويهزمه . انهض واكسب المعركة .

(يظهر شيخ لورد هاستنجز)

: (إلى رتشارد) أيها السفاح الأثيم ، انهض مثقلا بالأثيم ،

الشيخ

واختم أيامك في معركة دامية !

ف هـ

٢٣٠

اذكر اللورد هيستنجز وليحل بك اليأس والموت
(إدريشموند) أيتها النفس الراضية المطمئنة أنهضى ،
أنهضى !
وخذى سلاحك وقاتلى وانتصرى من أجل إنجلترا
العزيزة

١٥٠

(يختفى) (يظهر شبحا الأمير بن الصنيرين)

: (إلى رتشارد) فلتعلم بولدى أخيك الصغير اللذين خُنقا

الشبحان

فى البرج :

وانجمن كالرصا ص الثقيل على صدرك أى رتشارد
ولنتقلنك حتى يحل بك الدمار والحزى والموت !
إن روحى ولدى أخيك يبشرانك باليأس والموت
(إلى ريتشموند) أى ريتشموند - نم - نم - ، نم فى

١٥٥

سلام واستيقظ فى سرور وحبور

ولتحرسك الملائكة بين الأخيار من شر الخنزير البرى !

عش وأنجب نسلا سعيداً من الملوك ،

إن ولدى إدورد البائسين يطلبان لك التوفيق .

(يختفيان) (يطير شبح آن زوجه)

: (إلى رتشارد) أى رتشارد - هذه زوجك ، زوجك

الشبح

الشقية ،

١٦٠

٢٣١

٢٢

آن التي لم يغمض لها جفن معك ،
تملاً الآن نومك بالقلق . اذكرني غدا في المعركة ،
وليسقط سيفك المثلوم من يدك .
وليحل بك اليأس والموت !

(إل ريتشموند) أيها الروح المطمئن نم في سلام : ١٦٥
واحلم بالنجاح والتصر السعيد !
إن زوج خصمك تدعو لك .

(يظهر شيخ بكنجهام)

الشيخ : (إل ريتشارد) لقد كنت أول من أعانك لتظفر بالتاج ،
وكنت آخر من ذاق طعم طغيانك :

إيه ، فلتذكر في المعركة . بكنجهام ، ١٧٠
وتمت رعبا مما نجده في آثامك !
احلم ، احلم بخطاياك الدموية وبالموت .
ولتصعبك غشية تدفعك إلى اليأس ، ولتلفظ في يأس
آخر أنفاسك .
(إل ريتشموند) لقد مت من اليأس قبل أن أستطيع
خدمتك .

٥٠

٢٣٢

لكن لا تبتس وتضع !
 إن الله ، وملائكته الأخيار ، يقاتلون في صف
 ريثموند ؟
 وسيهوى رتشارد من علياء مجده (يختل) .

١٧٥

(يستيقظ رتشارد من حلمه)

الملك رتشارد :
 على " بجواد آخر ! ضمدوا جراحى !
 رحماك يا عيسى ، رفقا لقد كان مجرد حلم !
 أيها الضمير الوجلى ، كما تعذبنى !
 إن الشموع ترسل لها أزرق^(١) ، إننا الآن فى
 منتصف الليل ،
 لقد غطت قطرات العرق الباردة الوجلة جسدى
 المرتجف ،
 ولكن من أخاف ؟ نفسى ؟ فليس هنا أحد غيرى
 إن رتشارد يحب رتشارد ، إنى أنا هو أنا ،
 أهنا من يريد أن يغتالى ؟ كلا أجل إنه أنا . .
 إذن فلاأهرب . ولكن أأهرب من نفسى ؟ يا له من
 سبب ! ولماذا . . .

١٨٠

١٨٥

(١) - كان ذلك متدهم يبنى وجود أرواح فى المكان .

٢٣٣

لكي لا أنتقم منها ؟ ولكن أنتقم نفسي من نفسي ؟
 وأسفا إلى أحب نفسي . ولم ؟
 ألاي خير قدمته نفسي لنفسي ؟ .
 أواه لا . وا أسنى بل ينبغي أن أبغض نفسي
 لما اقترفته من آثام .
 إلى شرير ولكني أكذب وأزعم أني لست كذلك ،
 أيها الأحمق أحسن الثناء على نفسك ،
 أيها الأحمق لا تتصنع الثناء ! إن لضميري
 ألف لسان :

٢٢

١٩٠

١٩٥

٢٠٠

وكل لسان يحكي قصة :
 وكل قصة تنطق بأني شرير .
 الخيانة ، الخيانة في أبشع صورها ،
 والقتل ، القتل الأثيم في أقسى ألوانه .
 جرائم مختلفة في صور متعددة ،
 تزدهم كلها في ساحة القضاء وتصيح : مذنب ،
 مذنب !

ليس لي إلاّ اليأس فما من أحد يجنبي ،
 وإذا مت فلن يأسى أحد لموتي .
 أجل ولم يأسون ،

ف ه

٢٣٤

وأنا نفسي لا آسى لنفسي ؟
لقد خيل إلى أن أرواح الذين قتلهم جميعا
جاءت إلى خيمتي ؟
وتوعد كل منها بالانتقام
ينصب غدا على رأس رتشارد .
(يدخل راتكليف)

٢٠٥

- راتكليف : مولاي !
الملك رتشارد : رباه ! من هناك ؟
٢١٠ راتكليف : إنه أنا يا مولاي . لقد حياد بك القرية الصباح مرتين ،
ونهب أصدقاؤك ولبسوا دروعهم
الملك رتشارد : لقد رأيت حلما مزعجا
أتعتقد أن أصدقاؤنا سيثبتون جميعا على ولائهم ؟
راتكليف : بلا ريب يا مولاي
٢١٥ الملك رتشارد : أي راتكليف إلى أخاف . . . أخاف . . .
راتكليف : لا يا مولاي العزيز ، لا تخف من أشباح :
الملك رتشارد : وحق « بولس القديس » لقد ألفت الأشباح
الليلة في قلب رتشارد
من الرعب ما لا يستطيع أن يلقه عشرة آلاف
مقاتل ، في الحقيقة .

٢٣٥

٣٢

مسربلين في الدروع المحكمة

يقودهم ريتشموند الأحق .

٢٢٠

إن النهار لم يقترب بعد ، فتعال معي

أسترق السمع بين خيامنا

لأرى أينوى أحد أن يخوننى

(يخرجان)

(يدخل النبلاء إلى ريتشموند وهو جالس في خيمته)

: صباح الخير يا ريتشموند !

النبلاء

: معذرة أيها النبلاء والسادة اليقظون

٢٢٥ ريتشموند

إذ وجدتموني هنا على تلك الحال من البطء والكسل .

: كيف كان نومك أى سيدنا اللورد ؟

النبلاء

: أعذب نوم ، وأيمن أحلام

ريتشموند

طاقت برأس نائم ،

منذ أن غادرتمنى أى سادى ، اللوردات .

٢٣٠

لقد خيل إلى أن أرواح من قتلهم رتشارد

جاءت إلى خيمتى وبشرتنى بالنصر .

وإني لأؤكد لكم أن البهجة تملأ نفسى

لذكرى ذلك الحلم الجميل .

كم بقى على مطلع النهار أيها السادة ، اللوردات ؟

٢٣٥

ف هـ

٢٣٦

النبلاء
ريثشموند
: إن الساعة توشك أن تدق الرابعة ،
: إذن فقد حان الوقت لنحمل سلاحنا ، ونهبي جنودنا
للمعركة ،

(خطبته في جنوده الذين تجمعوا حول خيمته)
أيها المواطنون الأوفياء، إن هذا الوقت الضيق الحرج
لا يسمح لي أن أقول أكثر مما قلت . ومع ذلك
فلتذكروا هذا :

٢٤٠

إن الله وقضيتنا العادلة يحاربان إلى جانبنا ،
ودعوات القديسين الأبرار والأرواح المظلومة تقف
أمام وجوهنا كالمعاقل المنيعه .
وإن من نقاتلهم — ما عدا رتشارد — يؤثرون
أن يكون النصر لنا

٢٤٥
على أن يكون لذلك الذي يقودهم .
وَمَنْ ذلك الذي يقودهم ، أيها السادة ،
غير طاغية قاتل سفاح ،
رجل نشأ في الدماء ، وأسس ملكه على الدماء .
رجل يتخذ كل وسيلة للوصول إلى ما يريد .
ثم يقتل كل من كانوا وسيلته إلى غايته .
٢٥٠
حجر خسيس جعله عرش لإنجلتره نفيسا ،

٢٢

٢٣٧

ذلك العرش الذى يجلس عليه بدون حق .
رجل كان دائماً عدواً لله .
فإن حاربتموه فسيرعاكم الله
بعدله كما يرعى جنده ،

٢٥٥

وإن جهدتم الآن لتقضوا على طاغية ،
فستنامون بعد فى سلام حين يقتل ذلك الطاغية .
وإن حاربتم الآن عدو بلادكم ؛
فسيكون من خير بلدكم بلهدكم أجزل الأجر .
وإن حاربتم لتحملوا نساءكم ،

٢٦٠

فإن نساءكم سيرجن بعودتكم ظافرين .
وإن حررتكم أطفالكم من حكم السيف ،
فسيجزىكم أحفادكم فى شيخوختكم .
فباسم الله إذن ، وباسم هذه الحقوق جميعا ،
ارفعوا أعلامكم وأشهروا سيوفكم المتعطشة إلى القتال .
أما أنا فستكون جثى الهامدة على وجه هذه
الأرض الباردة

٢٦٥

فداء لمقصدى الجرىء .

على أنه إن قدر لى النجاح ونلت مقصدى ،
فسينال كل منكم - حتى أدناكم - نصيبه منه .

ف هـ

٢٣٨

دقوا الطبول ، وانفخوا في الأبواق ، في شجاعة

واستبشار ؛

٢٧٠

الله والقديس جورج ! ريتشموند والنصر

(يخرجون) (يمد الملك رتشارد وراكليف مع رفاق وجنود)

الملك رتشارد : ماذا قال نورثمبرلاند عن ريتشموند ؟

راكليف : قال إنه لا خبرة له بفنون الحرب .

الملك رتشارد : لقد قال حقا . وماذا كان جواب سري ؟

الملك رتشارد ٢٧٥ : ابتسم ثم قال : ذلك خير لنا

راكليف : لقد نطق بالصواب . فالحق أن ذلك خير لنا .

(تدق الساعة)

عدّ دقائق تلك الساعة . أعطني تقويما . من

رأى منكم الشمس اليوم ؟

راكليف : إني لم أرها يا مولاي

الملك رتشارد : إذن فهي تأتي أن تشرق ،

فقد كان ينبغي حسب التقويم أن تكون قد

أشرقت منذ ساعة

٢٨٠

ليكونن يوما أسود عند بعض الناس ! راتكليف !

راكليف : مولاي ؟

٢٣٩

٣ م

الملك ريتشارد : لن تطلع الشمس اليوم .
 فإن السماء تقطب في وجه جيشنا وتطبق سحبها عليه .
 وددت لو أن هذه الدموع الندية كانت من الأرض .
 لن تطلع اليوم !
 وماذا يعني من هذا أكثر مما يعني ريتشموند ؟
 إن تلك السماء التي تعبس في وجهي ،
 تعبس كذلك في وجهه
 (يدخل نورفوك متعجلا)

٢٨٥

نورفوك : إلى السلاح ! إلى السلاح يا مولاي — فقد انتشر
 الأعداء في ساحة المعركة .

٢٩٠

الملك ريتشارد : هيا — تحركوا تحركوا — أعدّ جوادى
 ادع لورد ستانلي واسأله أن يقدم بقوته ،
 وسأقود أنا جنودى إلى السهل حيث أدير المعركة ،
 وسأعجب طليعتى في خط واحد طويل
 من الفرسان والمشاة على السواء ؛
 وسيكون رماتنا في الوسط .
 وسيقود دوق نورفوك المشاة ؛
 ويقود الفرسان توماس إيرل سري

٢٩٥

ف هـ

٢٤٠

وستتبعهما حين يتقدما

على هذا النحو بقلب الجيش ،

٣٠٠

يقيه من الجائين جناحان من خيرة فرساننا .

هذا هو ما أوصيكم به ، وليعنا القديس جورج .

ما رأيك يا نورفوك ؟

خطة حكيمة أيها الملك الباسل .

نورفوك

لقد وجدت هذه على خيمنى هذا الصباح .

(يريه ورقة)

٣٠٥ الملك رتشارد : (يقرأ) « أى جوكى نورفوك ، لا تغرق فى الأمل

فإن سيدك سيكون ^(١) قد اشتراه رجاله وباعوه ^(٢) »

هذا من عمل العدو .

اذهبوا أيها السادة كل إلى شأنه ،

فلن تخيفنا أضغاث الأحلام .

إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء ،

٣١٠

مُقصد بها أول الأمر أن تخيف الأقوياء ،

فليكن جيشنا القوى ضميرنا ، والسيوف شريعتنا ،

سيروا قدما . وأقدموا شجعان على القتال ،

(١) جوكى الاسم الشعبي لجون .

(١) وديكون لرتشارد .

(٢) كناية عن الخيانة .

٢٤١

ونتمنض هذه الحرب الضروس ، إن لم يكن إلى
النعم ، فيبدأ في يد إلى الجحيم !

(خطبته في جيشه)

ماذا أقول فوق ما قلت ؟

٢٢

٣١٥

اذكروا أن من ستلقونهم عصابة من الأفاقين ،
والأوغاد والهاربين من وجه العدالة ،
حثة من أهل بريتاني والفلاحين الأذلاء .

لفظتهم بلادهم المتخمة

إلى المغامرة اليائسة والهلاك المحقق ،

٣٢٠

وأوكم تنامون في سلام فجلبوا إليكم القلق ،
وأوكم تمتلكون الأرض ، وتنعمون بزوجات جميلات ،
فأرادوا أن يغتصبوا الأولى ، ويدنسوا الأخرى ،
ومنذا الذي يقودهم غير لإنسان حقير ،

عاش طويلا في بريتاني على نفقة أمنا^(١) ؟

٣٢٥

إنسان ناعم مخنث لم يشعرك قط في حياته بأيسر المشقة ،
فلنجده هؤلاء الأفاقين وناق بهم إلى البحر مرة أخرى ،
ولنطرد بالسياط تلك الخرق من الفرنسيين الأدعياء ،

(١) يذهب بعض الشراح أن كلمة « أمنا » في هذا الموضع خطأ صوابه « أخينا » أي

صهر رتشارد دوق برجنديا (Burgundy) الذي أعان ريتشوند في متفاه .

ف ه

٢٤٢

فتردهم وراء البحر إلى حيث كانوا ،
ونجّلد هؤلاء السائلين الذين أضناهم الجوع
كمجرّدان ذليلة ،

٢٣٠

فستموا حياتهم وكان حريا بهم أن يشنقوا ، من
عوز ، أنفسهم ،

لولا ما يراودهم من أحلام بهذه الغنائم الجزيلة .
إن كان علينا أن نقهر فليقهرنا رجال ،

لا أولاد الزنا هؤلاء من أهل بريّاتى ،

أولئك الذين قهرهم أبائنا عن عقرب دارهم وأذاقوهم الأمرين ،
وأورثوهم عارا سجله التاريخ ،

٢٢٠

أسيتمتع هؤلاء بخيرات أرضنا ؟ ويضاجعون نساءنا
ويغتصبون بناتنا ؟

(صوت طبول من بعيد)

أصيحوا ! أنى أسمع طبولهم ،

قاتلوا يا سادة إنجلترة ، قاتلوا أيها الرجال البواسل ،

أطلقوا سهامكم أيها الرماة ، صوبوها إلى الرؤوس !
أهزوا جيادكم الكريمة فى عنف وخوضوا فى الدماء .

٢٤٠

ولترع السماء وماحكم المتكسرة . (يدخل رسول)

ماذا قال اللورد ستانلى ؟ أسيقدم بقواته ؟

: إنه يأتى أن يفعل يا مولاي .

الرسول

٢٤٣

٣٢

٣٤٥ الملك رتشارد : فلتطاح رأس ابنه جورج
نورفوك : مولاي ، لقد اجتاز العدو المستنقع .
فلننظر في أمر موته بعد المعركة .
الملك رتشارد : إن في صدري ألف قلب ضخم ،
ارفعوا أعلامنا وشدوا على أعدائنا ،
٣٥٠ أي جورج القديس الكريم يا وحى شجاعتنا من قديم
امنحنا بسالة كبسالة تنين هائل ،
إليهم ! وليقم النصر على خوذاتنا !
(يهجمون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ساحة المعركة

(ضجة وحركة . يدخل نورفوك مرة أخرى وقوات تقتتل - يقترب منه كاتسبي)

كاتسبي : النجدة يا سيدى نورفوك ، النجدة ! النجدة !

إن الملك يأتي بعجائب فوق طاقة البشر ،
ويلقى كل حملة من الأعداء بحملة مثلها ،
ولكن جواده قتل ، وهو الآن يحارب راجلا ،
ويبحث في حومة الموت عن ريتشموند .
النجدة أيها السيد الكريم ، وإلا خسرت المعركة .
(صوت هوق - يدخل الملك رتشارد) .

الملك رتشارد : جواد ! جواد ! مملكتي لقاء جواد !

كاتسبي : تفهقر يا مولاي ، وسأجيثك بجواد .

الملك رتشارد : أيها العبد ، لقد قامرت بحياتي وسأقبل ما يجيء

به القدر^(١)

يخيل إلى أن في ساحة المعركة ستة كريتشموند ،
فقد قتلت اليوم خمسة بدلا منه .

جواد ! جواد ! مملكتي لقاء جواد ! (يخرجون)

(١) في الأصل ما يجيء به « الردء أى الحظ في اللعب بالنرد .

الفصل الخامس

المنظر الخامس

مكان آخر من ساحة المعركة

(أبواق - يدخل رتشارد وريتشموند يقتلان . يقتل رتشارد . تقهقر
وأبواق - يعود رتشموند وستانلي يحمل التاج ونبلاء كثيرون آخرون)

ريتشموند : حمدا لله ولسيوفكم أيها الأصدقاء المظفرون !

لقد كسبنا المعركة ومات الكلب السفاح .

دربي : أى ريتشموند الشجاع لقد حققت أملنا فيك .

انظر ، ها هو ذا التاج الذى طال اغتصابه

انتزعه من جيبين ذلك الشقى السفاح ،

ليزين جيبينك .

فضعه على مفرقك ، واستمتع به طويلا .

ريتشموند : أجب دعاءه يا رب السموات المجيد .

ولكن قل لى ، ألا يزال جورج ستانلي الصغير

على قيد الحياة ؟

دربي ١٠ : أجل يا مولاي وهو الآن فى مأمن فى مدينة لستر .

ولعلنا الآن نستطيع إذا أذنت أن نسير إلى هناك .

- ريتشموند : من قتل من أعلام الرجال من الفريقين ؟
 دربي : جون دوق نورفوك ، ولتر لورد فيررز (١) ،
 وسير روبرت براكنبري (٢) ، وسير وليام براندون (٣) ،
 ١٥ ريتشموند : فليدفنوا بما يليق بمكانتهم :
 ولتعلنوا العفو عن يعود
 مستسلما من الجنود الهاربين ،
 وحين نأخذ على أنفسنا العهد
 سنوحد بين الوردة البيضاء (٤) والوردة الحمراء ،
 ٢٠ فلتبسمي أيها السماء لتلك الوحدة الجميلة .
 كما طال عبوسك لما كان بين هذين الفريقين
 من شحناء .
 ما أظن أن بيننا خائنا لا يؤمن على هذا الدعاء .
 لقد طال بإنجلترا هذا الجنون ، وطالما أثخنت
 نفسها بالجراح
 وطالما أراق الأخ في ضلالتة دماء أخيه

(١) ولتر لورد فيررز Walter Lord Ferrers

(٢) سير روبرت براكنبري Robert Brakenbury

(٣) سير وليام براندون William Brandon

(٤) شعار البيتين المتحاربين على ملك إنجلترا آل يورك وآل لانكستر .

وقتل الأب في جهالة ولده ،

٢٥

واضططر الولد إلى قتل أبيه .

كل هذا فرق بين يورك ولانكستر

فرقة كانت وبالا عليهما .

والآن فليجمع النسل الحر

لهذين البيتين الملكيين ريتشموند ولزاث

٣٠

شمل يورك ولانكستر المتصدع ،

وليكتب الله بفضله

لأولادهما أن يدوم اتحادهما

ويفيضوا على المستقبل السلام السمع ،

والرخاء البسام ، والأيام الجميلة السعيدة .

٣٥

أى ربى الكريم ، اكسر شوكة الخونة ،

الذين يتمنون أن يعيدوا تلك الأيام الدامية ؛

ويريقوا دموع إنجلترا في أنهار من الدماء .

لا تكتب لهم أن يذوقوا رخاء هذه الأرض ،

فسيطعنون بخيانتهم سلامتها .

٤٠

الآن برئت جراحنا وعاد السلام ، مرة أخرى ،

فلتطل بيننا حياته . آمين .

(يذهبون)

١٩٩٣ / ٣٥٦٠	رقم الإبداع
ISBN 977-02-4040-0	الترقيم الدولي

١ / ٩١ / ٤١٢
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.٠)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها تنج عبقرية
مسرحية وعبقرية شعرية معاً، فقد جمع شكسبير بين
حسن درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة الى معرفة
بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من
العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صوراً
فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..
ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي
أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر
والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة
التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.